دليلك سيدتي

أسرار الطفولة



اهداءات ٢٠٠٣

دليلك سيدتي
المملكة العربية السعودية

أسرار الطفولة

دار ليلك سيدني

Editors	**المديران المسؤولان**
M.Fahd I. Bacha	محمد فهد إبراهيم باشا
M. Feras Kekhia	محمد فراس الكيخيا
Editor in Chief	**رئيسة التحرير**
Sonia Beirouti	سونيا بيروتي
Assistant	**سكرتيرة التحرير**
Samia Jaffar	سامية جعفر
Paste up	**التنفيذ الفني**
George Abyad	جورج أبيض
Production Assistant	**مساعدة الإنتاج**
Ghada Selwan	غادة سلوان
Illustrations	**الرسوم**
Stelio Karamalakis	ستيليوس كاراماﻻكيس
Photographer	**التصوير**
Vasos Stylianou	ڤاسوس ستيليانو
Calligraphy	**الخطوط**
A. El-Karim Darwish	عبد الكريم درويش

«دليلك سيدتي» . . .

سلسلة ثقافية تهدف إلى إغناء مكتبة المرأة العربية بمجموعة من الكتب في مجالات رعاية الطفل، وصحة المرأة، وفن الطبخ العربي والعالمي، والتدبير المنزلي، والفنون النسوية، والديكور.
وتتألف هذه السلسلة من ٧٢ عدداً.

يتقدم الناشران بالشكر إلى الشركة الشرقية للنشر والتوزيع ليماسول، قبرص وذلك لتقديمها المعدات الفنية والتسهيلات اللازمة والتقنية لتصوير وإنتاج هذه السلسلة بالشكل اللائق.

يتقدم الناشران بالشكر لكلّ من: (محلات اسيّل) - ليماسول، قبرص ومدرسة غرين هيل، ليماسول قبرص والأطفال الذين ساهموا في تصوير هذا الكتاب وأوليائهم.

The publishers are most grateful: to **Eastern Publishers and Distributors,** Limassol — Cyprus for their collaboration in the production without which it would have been impossible to realise the series in the best possible manner.

The publishers thank ESEL stores, Anexartisia Street, P.O.Box 311, Tel.62352 Limassol-Cyprus and Green-hill Lebanese school, Limassol and the children and their parents, all for their collaboration and help.


الفهرس

من الرحم الى النور

الكتيّب الذي بين يديك ينقلك إلى عـالم واسع، بـالـرغم من حجمـه الصغـير، هــو عـالم قلب طفلك وعقله.

هـدف مسيرتنـا داخل هـذا العـالم هـو اكتشـاف كنوزه وطاقاته الرائعة بغية مساعدتكِ على إنماء وتـطوير ثرواته النفسية والذهنية.

ستكتشفين أن عاطفـة الأم ووعيها لا بـديل لهـما بالنسبة إلى نمـو الطفـل وبناء الشخصيـة الإنسانيـة التي ستلازمه وتتحكم بمصيره طوال حياته.

أنتِ متشوّقة إلى الانطلاق في رحلة الاكتشافـات ونحن مثلك، فلنبـدأ باللحـظات الحـاسمـة، لحـظات انتقاله من حال الجنين إلى حال الوليد.

عـاش الجنـين في الـدفء، في حـرارة مستقـرة، بعيـداً عن أي ضجيـج وأي ضـوء. كـان يحيـا في المـاء حيث الجاذبية معدومة، تماماً مثـل ملاّح كـوني. كان في مـأمن من الصدمـات. يتغذى دون أن يبـذل أي مجهود أو يقوم بأدنى حركة. كـان يتلقّى ويتناول كـل شيء من أمّه. وها هو يشعر ذات يوم بأنه يُدفـع إلى الأمام، يُجـرّ ويُجـبر على شق طـريق له عـبر ممر عـظمي ضيق. ويجد صعوبةً في تمرير رأسه فيرهق نفسـه خلال سـاعات كي يستطيع الخروج. هكذا يجد نفسه مدفوعـاً بقوة تـوازي العشرين كيلوغراماً، ومرمياً في عـالم بارد (٢٠ درجـة مئويـة عـوضـاً عن ٣٧). إضــطرّ أن يتنفس بلحـظة واحدة: يندفع الهواء إلى رئتيـه الحديثتي العهـد، فاتحـاً بعنف ألف حـويصلة رئويـة كما تتفتّـح المـظلة. يصرخ الطفل من الألم. بعدها يُفحص بدقة، يقـاس وزنه، أو يُرَجَّح بـاليد، يُغسـل، يُكسى، قبل أن يخلد أخيـراً إلى النوم، مرهقاً من شدة التعب.

يقـظته، لحسن الحظ، تجلب لـه فرحـاً عـظيـماً. سوف تأخذينه بـين ذراعيك وتـطعمينه. معـاً ستجدان التوازن. إنه فرح بك وأنتِ سعيدة به. على مدى الحياة سيكـون بين طفلك وبينـك نوعٌ من التفـاهم الضمني. لكن لا نستبقنّ الأمور.

في هـذه اللحظة أنتِ لا تعلمـين كيف تحتضنـين طفلك ولا كيف تمسكينـه. تتساءلـين عمّا إذا كـان حقاً سريـع العطب. تـريدين أن تعلمي مـاذا يـرى، مـاذا يسمع وما هي مشاعره. تـابعي القراءة وسـوف نراقبـه معاً.

أولاً نراقبه أثناء نومـه. في الأسابيـع الأولى يقسّم الوليد حياته بين الغذاء والنـوم. لكن نومـه مميّز جـداً. تـرينه منـطوياً عـلى ذاته مثلما كـان في أحشائـك. يهـدأ للحظة ثم يقطّب وجهـه. يفتح عينـاً ثم يفتح الثـانية. يحـرّك شفتيه، يعـطس. تـارةً يتنفس بسرعـة، وطـوراً



ببطء وتارة أخرى بخفة، بحيث نظن أنه لا يتنفس أبداً. يُقال إنه يجرّب تنفّسه بإيقاعات مختلفة محاولاً إيجاد الطريقة الأصحّ.

بعد لحظات من الهدوء النسبي، يرتجف فجأة. يبدأ بالصراخ، تنتفض ذراعاه ورجلاه بحركات فوضوية، غير متناسقة، يبدو كأنه يتألم. لكن، إذا قرصنا ذراعه يتبينّ لنا أنه لا يشعر بشيء. نقول إنه اضطرب بسبب حلم مزعج. ثم يعود إلى نوم عجيب كهرة صغيرة. يتحرّك، لا ينام بعمق وبالوقت نفسه لا يصحو بالفعل، ويبقى على هذه الحال حتى يبدأ بالبكاء محرّكاً شفتيه بيأس. بكاؤه هذا لن يتوقّف إلّا عندما يرضع.

بعد حين يحدث تغيير شامل. الطفل الصغير الذي بدا لنا منذ برهة غير واع، وغير قادر على القيام بحركة مفيدة، يبدو الآن حاضراً، مشغولاً ومتنبهاً؛ عند اقترابه من ثدي أمه أو من المصاصة يرتجف بحماسة. وما إن يصير الثدي أو المصاصة في فمه حتى يصبح قادراً على الامتصاص والبلع والتنفس بمهارة مدهشة. هذه العمليات الثلاثة تتعب البالغ في حال قام بها بالوقت نفسه، ولمدة عشر دقائق أو خمس عشرة. أمّا المخلوق الصغير الذي كان يبدو ضعيفاً، فيرضع بنشاط، يتنفس ويتلاشى من التعب. يتوقّف بعض الوقت للاستراحة، وإذا أرادت أمه سحب ثديها أو الرّضاعة حيث وضع طفلها يده، فإنه سيبكي إلى أن يسترجع مورد غذائه، يشرب من جديد حتى يستهلك جميع قواه، يغمض عينيه مطمئناً، يغفو وعلى شفتيه ابتسامة الرضا والامتنان.

كيف تعلّمنا أن ننظر إلى المولود الجديد؟

منذ اللحظات الأولى لوجوده، طفلكِ سيدتي ليس مخلوقاً عديم الطلبات بل هو مُزوّد بحيوية كبيرة. رأيناه حتى الآن يكمل بنجاح تجربته الأولى: الرضاعة. ويستطيع أيضاً التمييز بين الظل والضوء؛ إن ومضة من النور تجعله يحرّك جفونه؛ إنه يشعر بالارتجاجات ويسمع بعض الأصوات. إذا أسمعنا المولود الجديد، عندما يبكي، صوتاً مسجّلاً لدقات قلب أمه سيكفّ عن البكاء على الفور.

المولود الجديد حسّاس أيضاً حيال المذاق. تحركاته ليست بالطبع سوى ردات فعل، ولكنّها جميعها تدلّ على أن طفلك طبيعي، حاضر أو غير نائم، كما تدلّ على أنه متيقّظ ونظامي.

عندما تضعين طفلك في السرير بعد إرضاعه، قد تشعرين مثل كل الأمهات، بصغر حجمه وبضعفه. إطمئني فطفلك لن يتكسّر. جسده متين ومقاوم. لكن الجزء الأكثر عطباً فيه هو جهازه العصبي، هذا الأخير لا يكتمل إلّا بعد بلوغ طفلك السنتين. الغيبوبة التي تحصل لطفلك بين الحين والآخر هي البرهان عن ذلك. هو ينتفض أو يرتجف عند اقفال الباب بضربة قوية، يبرد عندما يكون الطقس بارداً، وترتفع حرارته في أيام الحر.

المهم أن تحافظي على نظافة طفلك وألّا ترفعيه من سريره سوى عند إرضاعه وتغيير ملابسه. إنّه بحاجة للهدوء. حافظي على السكينة في محيطه. سوف يكون مُمتنّاً لك، ليس الآن بالطبع بل في المستقبل.

المشاعر والأحاسيس التي تراود الطفل في أُولى لحظات حياته، لا تُمحى بل تُحفظ في اللاوعي وفي عقله الباطني، عقل الطفل غير قادر على استيعاب وتنظيم ومراقبة وفهم كل ما يراه. لذلك هو يخزن الأحداث الممتعة والمزعجة والتجارب السعيدة والحزينة وطلباته المحققة والمرفوضة. . .

طفلك يحتاج إلى وجودك وحنانك. إن تجربته هذه سعيدة كانت أم مزعجة وعلاقته اليومية بكِ، تتركان أثراً على شخصيته بصورة عامة.

عوضاً عن فرض نمط حياتك وقواعدها على طفلك، تعرّفي عليه عن كتب وراقبي كيف يُظهر



احتياجاته ويتفاعل مع العناية التي تقدّمينها. عندما تتقربين منه أكثر تستجيبين لتوقعاته بصورة أفضل. ولكل طفل شخصيته الخاصة ومتطلباته المُميّزة.

الأسابيع الأولى من حياة الطفل مهمة لتوثيق الروابط التي تجمعك وإيّاه. ونوعية هذه الروابط تؤثّر تأثيراً بالغاً على مستقبله لأن التوازن النفسي عند البالغين ينشأ منذ نعومة الأظفار، لكن أساس هذا التوازن تبنيه الأم خلال الأسابيع الأولى من حياة طفلها.

ـ لمساعدتِكِ، نعرض هنا التصرفات التي تجلب اللذة للوليد الجديد:

سعادته الكبرى أن يكون معكِ، بين ذراعيكِ. يجب أن يرضع، أن تهزّي سريره، أن تغسليه. وبعد الحمّام يجبّ أن يحرّك رجليه بحرية قبل أن تلبسيه ثيابه. عندما يتدلّل، يجب أن تشاركيه في فرحه. يحبّ صوتكِ، وملامسة يدك وضحكتكِ. يستهويه الهدوء والضوء ـ فهو يتجه نحوه غرائزياً ـ شرط ألّا يكون هذا الضوء قوياً.

ـ أمّا ما يزعج المولود الجديد فهو الآتي:

يزعجه أن يكون جائعاً. أن تكون الأغطية فوقه كثيرة أو أن لا يُغطّى بشكل كاف. تزعجه الألبسة الضيقة، وألّا تُبدّل حفّاضاته بانتظام وأن نتركه في مجرى الهواء ممّا يسبّب له الدوخة. الذهاب والمجيء والضجيج داخل غرفته، والصراخ والراديو والتلفزيون اقفال الأبواب بقوة ودخان السجائر حوله، هذه كلها تزعجه كثيراً. لا تقولي أبداً إنه خبيث إذا بكى خلال الليل فالمولود الجديد لا يفرّق بين الليل والنهار.

مرحلة الاكتشافات

يكون الاكتشاف بواسطة العين ثم اليدين ثم القدمين.

عندما يأتي المولود الجديد إلى هذا العالم، يبدو كأنه من سكان كوكب آخر أتى ليكتشف عالمنا. أولاً، يستريح في نوم عميق، من الرحلة الطويلة التي أكملها؛ ثم يتعلّم كيفية استعمال أعضائه الجديدة التي ستمكّنه من العيش في جو البالغين. لذلك هو بحاجة إلى أربعة أسابيع ليتعلّم هذا كلّه. تنفّسه يصبح منتظماً وعميقاً. قلبه يهدأ وحرارته تستقرّ. طفلك الآن لم يعد مولوداً جديداً خارجاً من ملجئه المظلم، بل بدأ يكتشف العالم الذي أصبح جزءاً منه.

يكتشف الوليد أولاً بواسطة عينيه ثم يديه وأخيراً رجليه.

عيناه تتجهان نحو الحركة. بفضلهما، يقوم الوليد باكتشافه الأول وهو الضوء. عندما يكون الضوء قوياً، يغلق عينيه ويبقيهما كذلك ليحتمي وإذا غمرت أشعة الشمس وجهه فغالباً يبكي. لكن إذا وضعنا سريره قرب النافذة فسوف يفتح عينيه كأنه يريد الحصول على أكبر قدر ممكن من الضوء والألوان. الطفل الوليد يحبّ الألوان المشرقة كالأحمر والبرتقالي والأصفر. عندما نحرّك ببطء شيئاً له أحد هذه الألوان، سيفتح عينيه وتتسارع عملية تنفّسه وسيتوجه نظره ورأسه نحو هذا الشيء. لاختبار الضوء والألوان أهمية قصوى وتأثير على ذكاء الطفل، تماماً مثل الغذاء بالنسبة إلى معدته.

بعد ذلك يتوصّل الوليد إلى المزج بين النظر والسمع فيوجه نظره نحو مصدر الصوت. ربما يبدو لك هذا التصرّف طبيعياً ولكنه حدث بالغ الأهمية، بالنسبة إلى نمو صغيرك.

عندما ينحني وجهكِ فوق وجهه، يراقبه بفضول. يرى شفتين تتحركان وعينين تنطويان. يحاول القيام بحركات مماثلة. ترتسم ابتسامة على ثغرك وتخرج من فمك صرخة فرح. الوليد يبتسم، وكذلك أمه. من منهما البادي، لا أحد يعلم. بالنسبة إلى الأم تلك هي السعادة بعينها. الطفل الذي حملته تسعة أشهر والذي آلمها قبل أن يرى النور، تعرّف عليها أخيراً. عرف أنها أمه. الابتسامة ليست الهدية الوحيدة التي يقدّمها الوليد لأمه في هذه المرحلة من حياته. سيبدأ بتمضية ليال هادئة لأن بكاءه سيتضاءل تدريجاً بين عمر الشهر والأربعة أشهر. إنه يبكي بمعدل ثلاث ساعات يومياً عندما يبلغ عمره الستة أسابيع ويبكي نصف ساعة في اليوم في سن الثلاثة أشهر.

يبكي طفلك لأنه لا يجد طريقة أخرى يعبّر بها عما يزعجه كمثل أن يكون مبللاً، ثيابه ضيّقة أو هو



جائع أو عطش أو أن تكون أغطيته كثيفة أو يكون مصاباً بمغص. أعصابه دقيقة جداً وهو حسّاس تجاه كل شيء. مجموع هذه الأسباب، أو أحدها، يمنع الطفل من الخلود إلى نوم عميق. إذا بدا كل شيء على ما يُرام ما بين الثلاثة والأربعة أشهر من عمره فيعني هذا أن الطفل توصّل إلى أداء مهمتين أساسيتين بشكل جيد: النوم والأكل.

عالم الطفولة يبدو للبالغين غامضاً للغاية. ويكون الغموض أكثر كثافة كلّما عجز الطفل عن التعبير عمّا يخالجه من شعور وعمّا يريده.

السؤال الأول الذي نطرحه هو: كيف ومن أي منظار يرى الطفل العالم بين سن الشهر والأربعة أشهر؟ حياة الطفل شديدة الانتظام: يُرضّع ست مرات، تُغيّر حفّاضاته ست مرات تقريباً، كذلك حمامه وإخراجه من السرير، هما منتظمان. في كل مرة يقوم الشخص نفسه الذي يعتني به بالحركات والتصرّفات ذاتها ـ من

لغة البكاء

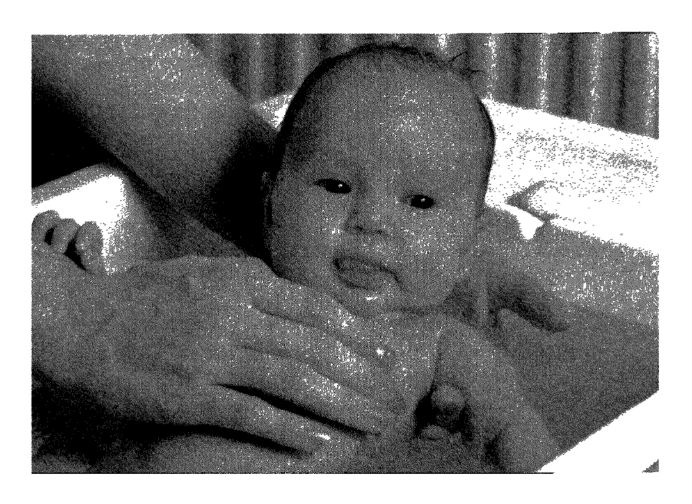
البكاء هو لغة الطفل الوحيدة ما بين الاسبوعين الاوليين والشهر الرابع من عمره، وإليك بعض معاني هذه اللغة.

نوعية البكاء	التفسير
البكاء ليلاً	يعني المغص، ويستريح الطفل إذا وضع على ركبتي امه ملقى على معدته ودلّك ظهره تدليكاً لطيفاً مما يساعد على اخراج الريح.
البكاء الفجائي الحاد والمستمر	لأكثر من ثلاث ساعات يومياً، هو الدليل على اصابة الطفل بمرض.
بكاء الطفل بحدة بالغة	مع التلوي يعني ان الطفل يعاني من مضاعفات معوية.
البكاء بعد الشهر الرابع	يعني ان الطفل يشعر بالجوع أو العطش أو ليلفت انتباه الأهل. وعلى الأم الا تسرع إلى سرير طفلها كلما بكى في حال تأكدها من كونه لا يشكو الجوع ولا العطش.

جدول يبين تطور الطفل مع حواسه

الاسبوع الاول:	يتجاوب الطفل مع رنين جرس أو صوت قوي
الاسبوع الثالث:	يبدي الطفل اهتماماً بمصادر النور ويحدق في وجه الناظر اليه.
نهاية الشهر الاول:	يرفع رأسه ويحدث أصواتاً متطورة أكثر من أصوات البكاء.
نهاية الشهر الثاني:	تصدر عن الطفل اصوات هي غير أصوات البكاء ويتتبع بنظره الاشياء المتحركة امام عينيه
الشهر الثالث:	يبتسم الطفل لمن يبتسم له ويتجاوب بحماسة مع مشهد امه وهي تحضّر الرضاعة.
الشهر الرابع:	يضحك الطفل بصوت عال ويمسك الاشياء المحيطة به.
الشهر الخامس:	يشرّع في الصراخ ليلفت الانتباه إليه بدلاً من البكاء. يلتقط العابه ويجلس مستنداً إلى زراع أمه.
الشهر السادس:	يميز أبويه تمييزاً صحيحاً ويبتسم للمراة.
الشهر السابع:	يجلس من تلقاء ذاته. ينطق بالمقاطع الاولى من الكلمات ويبتسم حين يسمع موسيقى
الشهر الثامن:	يتدحرج على سريره وينطق ببعض الكلمات «ماما» و«بابا»، ويزحف.

ملاحظة: المراحل المذكورة في هذا الجدول هي بمثابة معدل تقريبي لتطور الطفل وتختلف نسبياً بين ولد و آخر..



الأفضل أن يقوم الشخص ذاته في خدمة الطفل لأنه لا يحبّ التغيير ـ وتتكوّن نظرة الطفل إلى الحياة من خلال المشاهد اليومية التي تحيط به. بين عمر الخمسة والستة أشهر يرى الطفل كل ما يدور حوله بشكل صور وألوان مجتمعة وتتحرّك باستمرار. الأشخاص والأشياء بالنسبة إليه لوحات حيّة.

الحياة بالنسبة إلى طفل بهذا العمر هي تسلسل لوحات، العنصر الأساسي فيها هو الأم. هذه اللوحات تصبح عادات وأسس تؤمّن الاطمئنان والاستقرار للطفل. إذا حدث تغيير مفاجئ في سير هذه العادات سيصاب الطفل بحالة ضياع. بناء على ما تقدّم يتوجّب عدم إدخال التغييرات الكثيرة، والمحافظة قدر الإمكان على الروتين في حياة الوليد. مثلاً:

- عدم تغيُّر الأشخاص الذين يهتمون به.
- تخصيص زاوية للطفل ليكون محاطاً بالإطار ذاته طوال يومه ولمدة غير قصيرة.
- يجب أن يكون حمّام الطفل وإخراجه من سريره في أوقات محدّدة ومنتظمة، وأن تتم هذه المهمات من دون استعجال وعلى يد الشخص ذاته إذا أمكن.

كلّما كبر طفلك توضّحت ملامح شخصيته، وبدأ يقدّر الأمور ويبحث عن كل جديد. أمّا في الوقت الحاضر فهو بحاجة إلى الاستقرار.

إذا كنتِ ترضعين طفلكِ فسوف تدخلين على حياته، بعد عدة أسابيع، تغييراً بالغ الأهمية هو الفطام. من أجل تخفيف وقع هذا الحدث أو الصدمة، يحتاج طفلكِ إلى وجودكِ وعاطفتكِ وحسن تصرّفكِ.

الآلام النفسيّة

طفلك الصغير الذي كان يبكي بسبب ألم في بطنه، سوف يكتشف الآن أن باستطاعته ذرف الدموع تعبيراً عن قلقه لأنك ابتعدت عنه قليلاً. يتألم الإنسان بسبب الحب في مختلف الأعمار وهذا ما يحدث لطفلك.

كيف يولد شعور بمثل هذا العمق في قلب صغير كهذا؟ بكل بساطة، من خلال الأعمال والتصرّفات المتكررة على مرّ الأيام.

عندما يجوع الطفل، تطعمه أمّه. يبلّل نفسه، تغيّر له حفّاضاته. يبكي فتأخذه بين ذراعيها. حين لا يجد النوم، تهزّ سريره أو تحتضنه كي ينام. ترتسم على شفتيه ابتسامة فترد عليه بمثلها. يُصدر أصواتاً فتستمع إليه. بعبارة واحدة نقول: من خلال أمه يشبع الطفل جميع رغباته ويحصل على حاجاته كلها. هي التي تؤمّن له متعته. الإنسان يحبّ بالطبع مَن يؤمّن له السعادة. بعد عدة أسابيع، يصبح وجه الأم مركز حبّ الطفل المطلق، الذي تعوّد على تمييزه من بين الوجوه الأخرى. وأصبح وجود أمّه قربه ضرورة حيوية، إذا فقدها تعرّض الطفل إلى اضطرابات خطيرة تصيبه على الفور أو في المستقبل.

يحتاج الطفل إلى شخص يحبّه كي ينمو بشكل طبيعي فإذا أُهمل فسيعاني آلاماً كثيرة. الحبّ بالنسبة إلى الطفل، ضرورة لا بدّ منها مثل الفيتامينات لجسده.

والأسابيع الأولى من حياة الوليد هي المرحلة الأكثر دقة لأن أعضاءه تتكوّن خلالها. كذلك هي الأشهر الأولى من حياته، فخلالها يتعرّف على محيطه. وإذا لم يتلقّ الحبّ الكافي والعناية الدقيقة في هذه المرحلة فيستأخّر نموه. أنتِ وحدك، أمّه، القادرة على إعطائه الحبّ. أنتِ محور حياته، ويستمد توازنه كلّه من رعايتك إيّاه. في هذه المرحلة يشرق وجه الطفل بابتسامته الأولى، يتفوّه بأولى كلماته ويقوم بأول خطوة. هذا يعني أن أسس الحياة والقلب، والجسد وكلّ تقدُّم، تنمو من خلال الأم.

الانفصال عن الأم

عندما تكون الأم غائبة وحاجات الطفل العاطفية غير مشبعة، يعاني الطفل ممّا يُسمّى بالنقص العاطفي. وتتفاوت خطورة النتائج والتأثيرات عليه تبعاً لأهمية هذا النقص. لكن لا بدّ من التمييز بين مختلف الحالات: هناك أولاً الأطفال المحرومون كلياً من رعاية الأم، كاليتامى. وهناك الأطفال الذين يتلقون عناية غير كافية من أمهاتهم، كأن تكون شخصية الأم تفتقر إلى الحنان أو أنها تغيب عن المنزل باستمرار. وهناك أخيراً الأطفال المحاطون بالعاطفة ولكنهم منفصلون عن أمهاتهم لمدة معيّنة بسبب المرض أو الطلاق أو ما شابه.

الأطفال الذين لم يتلقوا أية عناية من أمهاتهم لن يتعرّفوا أبداً على سعادة الوجود بين يدي إنسان يحبّهم. ستنقصهم دائماً تجربة المبادلة. إنّ نمو هؤلاء الأطفال وتوازنهم مرتبطان بنوعية العاطفة التي يتلقونها من المحيط الذي يستقبلهم. إذا حالفهم الحظ وتبنتهم إحدى العائلات منذ الأشهر الأولى من حياتهم وأحاطتهم بالعاطفة فبإمكانهم النمو بشكل طبيعي.

في الحالة الثانية، إذا تُركوا فترة طويلة بمفردهم في السرير وأُهملوا عاطفياً، أو اعتنى بهم عدة أشخاص بشكل فوضوي فسينقصهم يوماً بعد يوم المحرّك الضروري لإيقاظ فطنتهم ووجود العاطفة المستمر والضروري لبناء شخصيتهم. سيكون هؤلاء ضعفاء في جميع المجالات، وغالباً يعانون من تأخّر في نموّهم العام.

ردات فعل الطفل على النقص العاطفي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بطول مدة هذا النقص؛ أي إن حدة الاضطرابات تختلف فيما لو دام النقص عدة أيّام أو عدة أسابيع أو عدة أشهر.

بين الثمانية والخمسة عشر يوماً، يعبّر الطفل عن حزنه، حسب مزاجه، قد يعبّر بعنف فيصرخ ويبكي. أو بالعكس من دون أي ضجيج فيلتزم الصمت، ويصبح جامداً، ينظر في الفراغ غير مبال بما يحيط به، لا ينام جيداً، ولا يأكل جيداً، ويفقد من وزنه.

إذا استمرّت حالة النقص العاطفي عدة أسابيع ستظهر اضطرابات أشدّ خطورة. إضطرابات هضمية (كالإسهال أو الإمساك، اللذين يستعصيان على كل علاج، والقيء وإلخ...). وقد يصاب الطفل بزكام خفيف ولكنه لا ينتهي. أو يتعرّض لإصابات أكثر خطورة كذات الرئة. وكأن النقص في الحب يجعل الجسد ضعيفاً وأشدّ تعرضاً للإصابة بالأمراض والميكروبات. في بعض الأحيان، بعد أن يتعلّم الطفل المشي يتوقف فجأة، أو بعدما كان نظيفاً يعود ويبلّل ثيابه. بعض الأطفال يفقدون الشهية تماماً والبعض الآخر، بالعكس، يرتمي على الطعام ويلتهمه: في هذه الحالة يحاول الطفل التعويض من الحب بالطعام.

إذا استمرّ إهمال الطفل أكثر من أربعة أشهر، ستتفاقم الاضطرابات وتترك آثاراً لا تمحى فيعاني الطفل طوال حياته، من توتر في الأعصاب، ويصبح غير قادر على التأقلم مع أي تغيير مهما كان صغيراً. أمّا إذا حُرم الطفل من الحبّ خلال السنة الأولى من حياته فالاضطرابات ستصيب أعصابه وعضلاته أو شخصيته، وأحياناً تعيق نموّه.

طفل كهذا قد يرفض أن يمشي أو يتأخر كثيراً ليقوم بالخطوة الأولى. وآخر قد يرفض أن يتكلّم أو يتفوّه بلغة الأطفال وقتاً طويلاً. في أحوال أشدّ خطورة يقوم الطفل بتصرّفات غير طبيعية ويصبح غير مبال تجاه كل الأمور.

الانفصال عن الأم لفترة معيّنة

نعرض هنا وضع الأطفال المحاطين بأمهاتهم بشكل طبيعي لكنهم يجدون أنفسهم منفصلين عنها وقتاً معيّناً. حتى ولو أُحيط هؤلاء الأطفال بالحب الكافي فإنهم سيعانون من جرّاء الانفصال. الاضطرابات التي تصيبهم هي نفسها التي سبق ذكرها ولكن بوطأة أخف بكثير، كما أنها تتلاشى إذا اهتم بهؤلاء الأولاد أحد يحبّهم ويعتني بهم جيداً كجدتهم مثلاً.

تبقى حساسية الطفل مرهفة تجاه الانفصال عن أمه حتى عمر الثلاث سنوات. لكنه أكثر تعرُّضاً لتأثير الانفصال السلبي حتى عمر السنتين. في الواقع أن حاجات الطفل العاطفية هي رئيسة وضرورية حتى بلوغ الطفل هذا السن وبديهي كم هو صعب إفهامه الأسباب الحقيقية للانفصال والتي لو كان بإمكانه استيعابها، لشُفي من بعض اضطراباته.

بعد عمر الثلاث سنوات تتفاعل الاضطرابات الناتجة عن غياب الأم بحسب طبع الطفل ولكنها أقل خطورة، لأن شخصية الطفل قد بنيت قبل هذه السن.

الطفل أقل عرضة للمتاعب بعد الخمس أو الست سنوات وهو بالتالي يستطيع تحمّل الانفصال عن أمه بقدر ما كانت العلاقة العاطفية وطيدة بينهما قبل الانفصال.

مزاج الطفل

منذ أول أيام حياته يتمتع الطفل بمزاج معيّن. بعض الأطفال يبدون أقوياء، قليلي المطالب ويتحملون جيداً بُعد أمهم عنهم خلال النهار. بعضهم الآخر عصبي المزاج، كثير الحركة وهو بحاجة إلى انتظام أكثر في حياته، أي في مواعيد الطعام. أيُّ تأثير غير متوقع يؤدي إلى توتر أعصاب هؤلاء الأطفال، والبعض الآخر أيضاً سريع العطب وأي تغيير في عاداته يؤثر سلباً على صحته. هذه الحالات التي ذكرنا ليست سوى أمثلة تفسّر كيف أن كل طفل يتعامل مع النقص العاطفي بطريقة مختلفة عن طرق سائر الأطفال..

إذا عدت واجتمعت بطفلك بعد مدة طويلة من الانفصال عنه لا تتوقعي أن يتجاوب معك، بل إنه سيكون مرتبكاً حتى إنه قد يدير وجهه إلى الناحية الأخرى عندما يراكِ. لا تحاولي الدخول إلى حياته بيوم واحد فطفلك قد تعوّد وجهاً آخر وهو بحاجة إلى الوقت كي يألفكِ من جديد. واحفظي جيداً التالي: لا تدخلي تغييراً مفاجئاً على حياة طفلك وإذا اضطررت الى أن تتركيه بعهدة أحد فيجب أن تؤمني لطفلك الجو الذي يُشعره بالأمان.

إذا كنتِ تعملين خارج البيت

كيف سيتحمل طفلكِ غيابك خلال ساعات طويلة من النهار وهو في أمَسّ الحاجة إليك؟ سيتحمّل ذلك جيداً، إذا اتخذت الاحتياطات اللازمة.

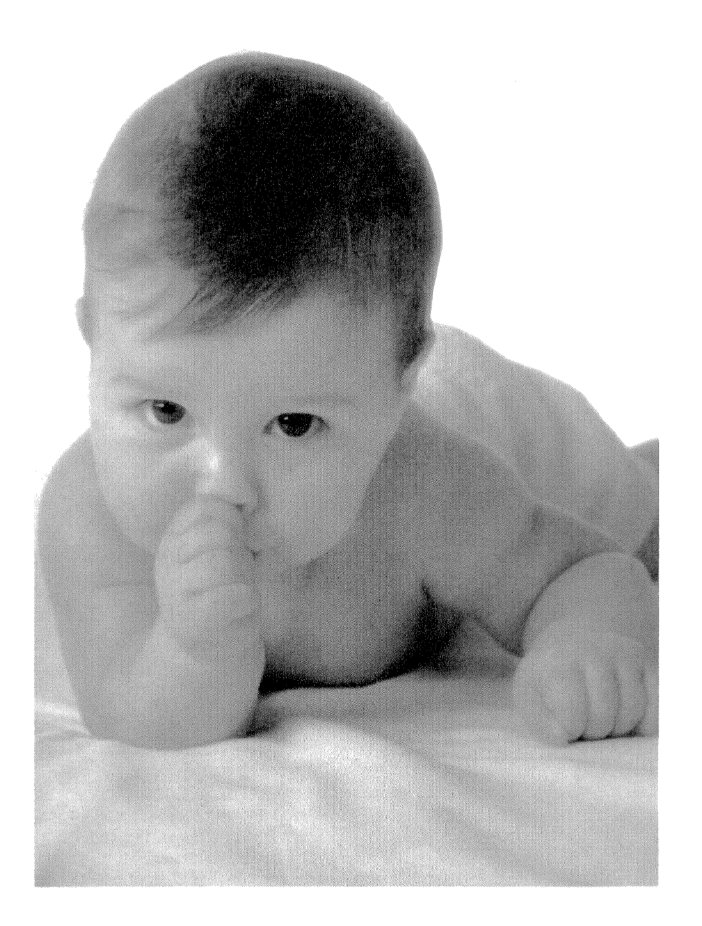
عليك أن تقدّمي لطفلك ما ينتظره منك عندما تعودين إلى المنزل في المساء: أن تكوني فرحة بلقائه. هذا ليس سهلاً بالطبع فأنتِ متعبة بلا شك، لكن النتيجة تستحق المجهود الذي ستقومين به. إذا نجحت لقاءاتكما المسائية فقد قمت بجزء كبير من مهمتك. ثم حاولي أن تستغلي جميع الفرص لتمضي وقتك معه. خصصي له معظم الوقت الذي تقضينه في المنزل. الوقت الذي يمضيه معك يعوّض عن غيابك في أثناء النهار. وهذا أفضل بكثير من أي هدية تقدمينها له. بعض الأمهات العاملات يتجه نحو تدليل الأطفال بواسطة شراء الألعاب ليعوضن عن النقص العاطفي، وهذا خطأ.

يجب أخيراً أن تكوني موجودة عند حصول تغيير مهم في حياة طفلك مثلاً عندما يأكل بالملعقة أوّل مرة، أو عندما يتناول أي طعام غير الحليب أول مرة.

الطفل يدرك بسرعة أن أمّه تعمل لعائلتها وله بشكل خاص، وعندما يبلغ عمراً يسمح له أن يعي ذلك فإنه سيكون فخوراً بك.

إعلمي في النهاية أن أهم شيء بالنسبة إلى الطفل ومن أجل توازنه، ليس عدد الساعات التي تمضيها أمه معه، بل نوعية العاطفة التي تقدّمها اليه.

ردّات فعل الطفل على النقص العاطفي تختلف باختلاف طباع كل طفل ومزاجه الخاص. قد تكون ردات الفعل هذه من نوع الصراخ والبكاء تعبيراً عن الحزن، وقد تكون صامتة فيبدو الطفل جامداً يحدق في الفراغ. أو هو قد يلجأ إلى تسلية نفسه والتخفيف من قلقه بامتصاص احد أصابع يده.



مراحل نمو الذكاء

قد يبدو غريباً تقسيم حياة الطفل إلى أجزاء ووصف كلّ منها على انفراد. لكننا نفعل الشيء نفسه عندما نقول إن الإنسان يصبح عاقلاً في سن السابعة، وبالغاً في سن الثالثة عشرة وراشداً عندما يبلغ الثمانية عشرة.

لا يتكلّم جميع الأطفال بعمر محدّد ولا تنبت أسنان الجميع في تاريخ معيّن، لكن لتوضيح نمو الطفل من الضروري الاعتماد على نقاط ارتكاز. في كل الأحوال، اكتساب المعرفة يأتي بالتدرُّج. لن يصحو الطفل في أحد الأيّام وقد أصبح ذكياً أو يستطيع المشي بسهولة. فالذكاء يصحو يوماً بعد يوم والمشي لا يصبح قوياً إلّا بعد أن يتعلّمه الطفل على مدى أسابيع.

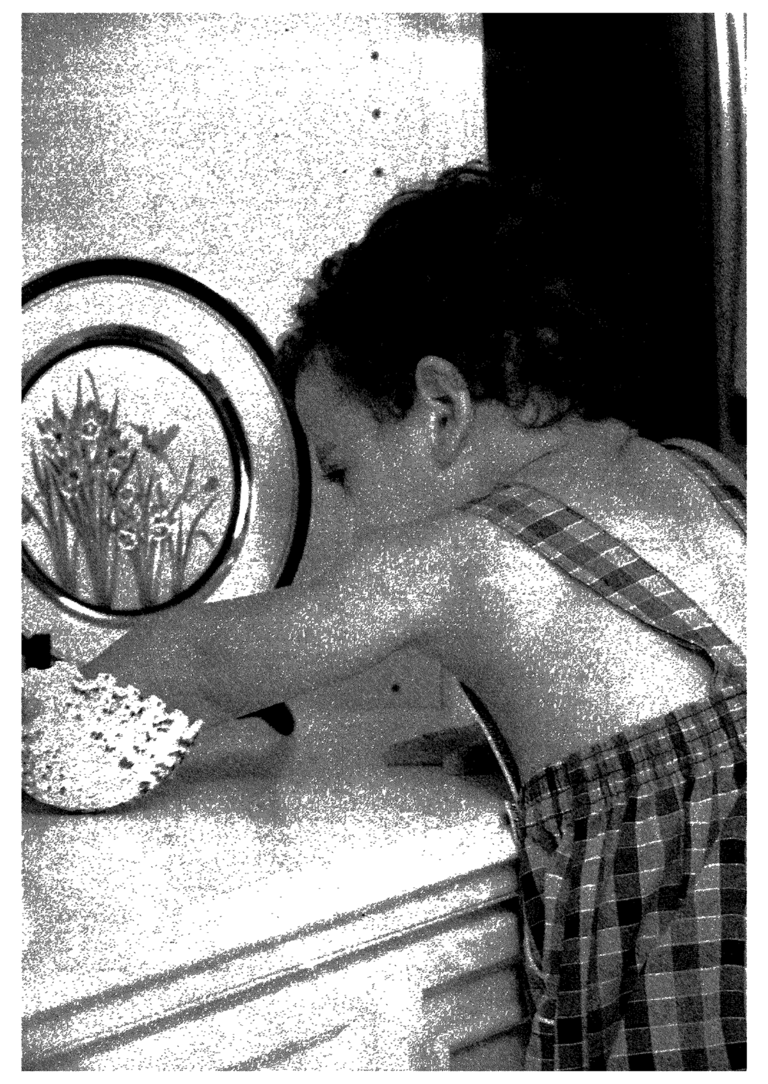
جميع أطفال العالم يتخطون مراحل النمو متبعين الطريقة ذاتها. ومن الممكن أن تتأخر هذه المراحل بالظهور أو تتقدّم. بعض الأطفال يتكلّمون لدى بلوغهم السنة والنصف وآخرون بعمر السنة وثلاثة أشهر وآخرون أيضاً عند بلوغهم السنتين. هذه الاختلافات تتعلّق، من جهة، بالوراثة ومن جهة أخرى بتأثير المحيط.

حتى الآن أظهر لكِ طفلكِ عاطفته، وفيما يلي سيبرهن لكِ عن ذكائه. سيبدأ بإظهار ذكائه من خلال أعمال يديه المرتبكتين.

في الشهر الأول من حياته لا يميّز الطفل سوى الأشياء المتحركة بقربه. إن متعته الكبرى بين الشهر والأربعة أشهر هي في النظر إلى كل شيء يحيط به. في نهاية هذه الفترة يحاول الطفل التحرّك للوصول إلى هذه الأغراض وإن بلا جدوى.

بين الأربعة والثمانية أشهر، يستطيع أخيراً إمساك الأشياء. عندما نُقرِّب منه شيئاً، يحبو نحوه فرحاً. عندما يتوصّل إلى الإمساك به فإنه يلامسه وقتاً طويلاً ثم يضعه في فمه ليمتصه. عندما يبلغ الطفل الثمانية أشهر تساعده حواسه على التعرّف إلى الأشياء من عدة زوايا: عيناه تدلّانه على لون الشيء، يداه تدلانه على شكله وحجمه، فمه يعرّفه على مذاقه، وأنفه على الرائحة التي تفوح منه. بهذه الطريقة وشيئاً فشيئاً يتعود الطفل على الأغراض التي تحيط به ويتعرّف عليها. لكن في هذه الفترة (٤ ـ ٨ أشهر) إن لم يكن الغرض أمامه فالطفل لن يبحث عنه لأن الغرض لم يعد موجوداً بالنسبة إليه.

الفترة الممتدة بين الثمانية والاثني عشر شهراً هي فترة مهمة. في الشهر الثامن من عمره حين يبحث للمرة الأولى عن الملعقة التي وقعت منه أو اللعبة التي خُبِّئت عليه فهذا يعني أن باستطاعته القيام بالتحقيق التالي: «كنت أملك ملعقة؛ إنها لم تعد هنا. يجب أن تكون في مكان آخر». وترينه ينحني نحو الأرض ليفتش عن ملعقته.



يتصرّف الطفل تجاه الأشخاص كما يتصرّف إزاء الأشياء؛ فهو يعلم أن أمّه موجودة حتى ولو أنه لا يراها. هذا ما كان يجهله في السابق. لذلك هو يبكي عندما تبتعد عنه ولذلك أيضاً يروح يبحث عن الأغراض أو الأشخاص الذين يعلم أنهم موجودون حتى عندما لا يراهم. هذه اللعبة الكلاسيكية هي برهان عن ذكاء الطفل. الذاكرة هي أيضاً برهان عن الذكاء: عندما يضع الطفل علبة، كان يلعب بها، على سريره ليتحدث مع أمه بلغته الخاصة وبعد أن ينتهي يتجه فجأة نحو العلبة، ليأخذها مُظهراً بذلك أنه لم يَنْسَها.

في بعض الأحيان نرى طفلاً يرمي لعبته على الأرض فتعود أمه وتلتقطها له، وفي كل مرة يأخذها، يعيد رميها من جديد. لكننا لا نتنبه إلى أنه في كل مرة يرميها بشكل مختلف وكأنه يحاول التأكد من قانون الجاذبية.

خلال نموّه يتصرّف الطفل بالتدرّج على طريقة (نيوتن): بين سن الثمانية أشهر والسنة يكتشف قانون الجاذبية. وعلى طريقة (ديكارت): «إني أفكّر، إذن أنا موجود»، بين السنتين والسنتين والنصف. ذلك هو اكتشاف الـ «أنا»؛ ويتطوّر بطريقة (نيتشيه) أي يمتلك إرادة القدرة، ففي عمر السنتين والنصف يريد الطفل تأكيد قدرته. من الطبيعي أن يعيد الطفل المسيرة الفكرية للإنسانية بما أنه، هو أيضاً، يكتشف أسرار العالم.

كشفت يد الطفل عن ذكائه، وستقوم الآن بخدمته، إذ إنها ستمكّنه من اكتشاف جميع الزوايا وستكون العضو الذي يجلب له العلومات. هذا الاكتشاف وهذه المعلومات ستعلّم الطفل الكثير من الأشياء التي سيستفيد منها ليغذي معرفته؛ ويوماً بعد يوم ينمو ذكاؤه. سيفتش عن نقاط التشابه بين الأشياء التي تحيط به ويجد العلاقة التي تربطها بعضاً ببعض. يتمكن الطفل مثلاً من أن يضع مكعباً صغيراً داخل آخر أكبر حجماً. ويتمكن حيناً آخر من إدخال عود في حَلَقة، بينما كان في السابق يضع العود بالقرب من الحَلَقة.

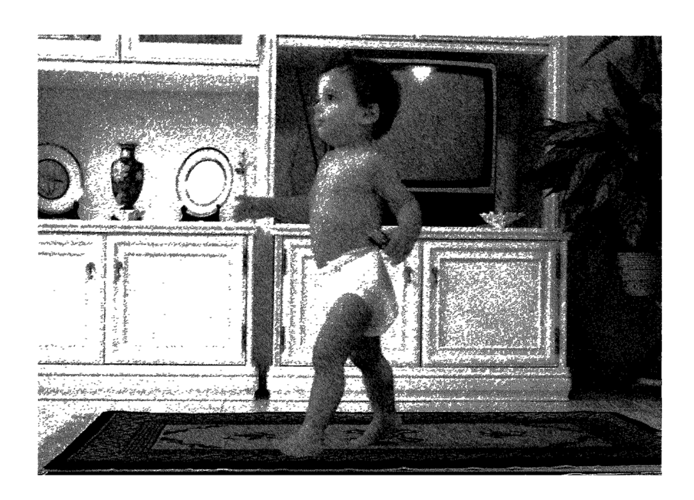
في وقت لاحق، بين السنة والنصف ـ والسنتين، يحاول الطفل أن يلمس كل شيء. بما أنه أصبح يمشي في هذا العمر فلن تعود هناك حدود لفضوله. في كل لحظة يقوم باكتشاف جديد، بتجربة جديدة، ويكمل ذكاؤه وتقدّمه. بعد القيام بعدة محاولات متكررة وبعد أن يُصاب بالفشل مراراً وبعد أن يستعين بالمصادفات ويقلّد مَن حوله، تصبح تصرّفات الطفل متزنة ويتمكّن من إيجاد الحلول لمسائل كانت عاصية عليه من أشهر خلت. مثلاً لكي يبحث عن الكرة التي اختفت وراء المقعد، يدور الطفل حول هذا الأخير. لبلوغ الحلوى الموضوعة على الطاولة، يضع الكرسي بقربها ويصعد اليها.

بعد بلوغ الطفل السنتين من عمره ستقود يدُه ذكاءه إلى أبعد حدود. وبالإضافة إلى ذلك سيتابع إظهار ذكائه بواسطة الكلام. شيئاً فشيئاً سيتفتح ذهن الطفل ويبدأ بتمتمة الكلمات وجمعها ليؤلّف منها أقوالاً تُفهم. ستبدأ عندها مرحلة جديدة من التفكير.

استعمال القدمين ومدى تأثيره على تطور الطفل

سار طفلك في طريق النمو مستعملاً رأسه، أما الآن فسيبدأ باستعمال رجليه: بعدما برهن الطفل على أنه ذكي سوف يظهر الآن أن باستطاعته المشي. هذه ميزة نمو الطفل، أن يكون في البدء مفكراً ثم يظهر قدرته الجسدية ومن وقت لآخر هو عاطفي كبير. إنّ تطوّر الطفل باتجاه واحد يحدث خللاً في توازنه.

يحتاج الطفل إلى ستة أشهر كي ينتقل من مرحلة الاستناد إلى جوانب سريره ليقف، إلى مرحلة ترك يد أمه ليمشي وحده. ستة أشهر من المجهود اليومي مع ما يرافقه من نجاح وفشل: في بعض الأيام يتقدم الطفل



بخطوات ثابتة وفي الأيام السيئة يتوصل بصعوبة إلى الوقوف على رجليه. في هذه المرحلة يضع الطفل كل قواه وتركيزه على محاولته المشي ولا يقوم بأي تقدم في المجالات الأخرى.

في عمر السنة، حين يتفوّه الطفل بالكلمة الأولى يبدو وكأنه بدأ مرحلة الكلام جيداً، لكن بين السنة، والسنة والنصف يعود فيتمتم كلاماً غير واضح. كذلك في عمر السنة ينام جيداً طوال الليل. لكن عندما يبدأ بالمشي سيشكو من الإرق. يجب معرفة هذه الفكرة التي ترافق نمو الطفل: عندما يقوم الطفل بتقدم في مجال ما فهو يتراجع في المجالات الأخرى. ويجب الاطمئنان إلى كون هذا طبيعياً.

إنّ الفترة الممتدة بين عمر السنة والـ ١٨ شهراً هي سن المشي لدى أكثرية الأطفال، ويصفها الإختصاصيون «بالفترة الحساسة». ترافق هذه العبارة جميع أيام الطفولة وهي تعني العمر الذي يتعلم الطفل خلاله بسهولة جميع الأشياء الجديدة.

أن يتعلم الطفل المشي يعني أولاً أن يتعلم التوازن ليتمكن من التقدم. وهذا لا يتم بلا صعوبة. لا ترفعي طفلك في كل مرة يقع فيها على الأرض. المجهود الذي سيقوم به ليقف من جديد سيقوّي عضلاته. يقع فيرتكز على يديه ليقوّم وضعه، يقف ومن ثمّ يقع. هذه طريقة صعبة التعلم لكنها ضرورية. ساعدي طفلك بأن تمتدحي جهوده وتفهمي حاجاته.

أخرجي طفلك من سريره، وإلّا أصبحت قضبانه كقضبان السجن بالنسة إليه. دعيه يمشي على الأرض دون أن تغفلي عن مراقبته. عملية المشي ستحوّل طفلك من إنسان ضعيف معتمد كلياً على محيطه، إلى إنسان متحرّك. وشيئاً فشيئاً سيصبح نشيطاً ومشغولاً للغاية ولا يتعب أبداً. وسيكون بنوع خاص، قادراً على الإقتراب مما يستهويه بلا مساعدة من أحد، ويصير قادراً على القيام يومياً بالعديد من الإكتشافات والتجارب.

للمشي نتيجة أخرى غير مرئية، بفضلها سيتحقّق الطفل كونه يملك جسداً، لأنه يقع ويصدم نفسه بالأشياء ويتألم من جراء ذلك. هذه الكدمات والرضوض هي تجارب تتردّد عشرات المرّات في اليوم الواحد، وتُشعر الطفل بألم بسيط لكنها تعلمه الكثير. في النتيجة عندم يبلغ الثمانية عشر شهراً سيدور حول الأثاث ليتجنّبه بسبب الألم الذي ذاقه منه ولم يَنْسَه.

يقوم الطفل بعدّة إكتشافات في هذا العمر لبناء شخصيته ومن بينها تعلُّم النظافة. لا يعود يبلّل ثيابه لأنه بات يفهم أن هناك أشياء جيدة وأخرى سيئة. يفهم ذلك من خلال تصرفات أمه وملامحها، فالشيء الجيد هو الذي تقدره أمه وتفرحَ به أما الشيء السيِّء فهو الذي يزعجها. كذلك عندما يتعلم المشي يواجه عدّة ممنوعات، نقول له: «لا تذهب إلى هناك، لا تلمس هذا».

وهكذا بعد إن مشى الخطوات الأولى على طريق التحرّر، يكتشف أن هناك حدوداً لحريته.

عالم الطفل خلال السنة الأولى لا يضمّ سواه هو وأمه. العلاقة بينه وبين أبيه لا تؤثّر عليه مباشرةً. لكن منذ اللحظة التي يبدأ فيها الطفل بالمشي، يتغير كل شيء: سيذهب ويأتي، يدفع ويصطدم بكل ما يصادف طريقه، يقترب من أبيه ليجرّه من كمّه، يقفز إلى حضنه. الطفل الذي يمشي يفرض وجوده على المنزل ومن فيه.

الاكتشافات والتجارب الخطرة

الآن وقد بدأ طفلك يمشي فإنه لن يلجأ إلى الإستراحة بسبب الكدمات التي أصابته. هو يتمتع بحيوية مدهشة وخصوصاً بحب الإستطلاع والإقدام على تجربة كل شيء.

كان يتناول كل ما تقع عليه يده. أمّا الآن وقد أصبح باستطاعته لمس كل ما تراه عينه فإنه لن يحرم نفسه من هذه القدرة الجديدة. على العكس إنه سيفرح بذلك. يميناً ويساراً، من الأعلى إلى الأسفل، سيلمس كل شيء! ولن يقف أحد في وجه طفل. يقفز فوق الكراسي والكنبات مهدَّداً بالوقوع عدّة مرات، ينزلق تحت السرير لالتقاط الكرة، يصعد الدرج ويحاول النزول فلا يستطيع. يفتح الأبواب، يُفرغ محتويات الأدراج، يضع السجائر في فمه ليقلّد الكبار. يفتح أنبوب الدواء أو أحمر الشفاه، يحفّ عيدان الكبريت لتوليد نور جميل، يحاول وضع دبوس في مأخذ الكهرباء، يمزّق أوراق كتاب وُضع على الطاولة، يجرّ كرسيه إلى قرب الطاولة ليتمكن من الوصول إلى تفاحة حمراء وُضعت عليها، فيوقع الصحن وما فيه ويقع هو أيضاً. كل هذا يؤدي إلى صدور ضجيج وتخريب، لكنه لا يزعج الطفل أبداً بل يعود إلى لعبه وكأن شيئاً لم يكن. هو مهتم باكتشاف العالم الذي يحيط به والأشياء التي لا يعرفها ويبدو الطفل مأخوذاً بكل شيء جديد.

بعض الأطفال يكونون أكثر هدوءاً، والفتيات بشكل خاص. لكن ليس من الطبيعي أن يكون طفل له سنتان من العمر هادئاً وملتزماً السكون. نحدّد هنا أن الطفل ليس مخرّباً عن قصد. عندما يكسر شيئاً فلأنه لا يعرف كيف يمسكه. إنه لا يرمي شيئاً ليُعبِّر عن العنف. العنف لا يظهر عند الطفل سوى في مرحلة تعليمه النظافة.

ماذا يجب أن نفعل عندما يلمس الطفل كل شيء ويركض في كل اتجاه؟ السماح له بكل شيء أو منعه عن كل شيء؟ لا هذا ولا ذاك.

أن يُمنع الطفل عن كل شيء يعني إعاقة توجّهه الأساسي نحو النمو؛ فحركته المستمرة تطور حواسه وعضلاته وذكاءه. أما السماح له بكل شيء فيشكل خطراً عليه.

ما يجب فعله هو اعتماد نظام حرية مُراقبة: ضعي طفلك في منحى عن المخاطر (ضعي حافة للدرج وحديداً على النوافذ إلخ...) ثم دعيه يتصرف بحرية



في مكان آمن سواء أكان هذا المكان صغيراً أم كبيراً، دعيه يغامر فهذا يعطيه ثقة بنفسه.

المغامرة في هذه السن هي أن يقفز على الكنبة بمفرده، وأن يفتح علبة بمفرده. ولن يذهب طفلك بعيداً من دونك لأنكِ تمثّلين الأمان والملجأ بالنسبة إليه. بعبارة مختصرة، هو بحاجة إلى أن تكوني حاضرة كلما احتاج إليكِ، وأن تردّي عليه كلما ناداكِ، لكن شرط ألّا تكثري من الممنوعات وألّا تلاحقيه قائلة «انتبه سوف تؤذي نفسك إن قمت بهذا. . .» وسترين أنه سيفتش عنكِ في كل مرة ليتأكّد من وجودك معه وبعدما يطمئن سيعود إلى ألعابه وانشغالاته.

في بعض المراحل ستختلط عند الطفل روح المغامرة بالحاجة إلى الأمان: الأمان هو أنتِ. لكن تذكري أن حشرية الطفل لا تنتهي كما أنها تتغلب على خوفه؛ مخيلته واسعة ولا يعرف معنى للخطر؛ المذاق الغريب والروائح المزعجة لا تضايقه. اشرحي لطفلك على مرّ الأيام، ومن دون تسرّع، كل ما هو مسموح أو ممنوع أو خطر. ابتداءاً من عمر السنة سيتمكن الطفل من فهم الأشياء وكل يوم يفهم أكثر من اليوم السابق، لكنه لا يستطيع التكهُّن وحده بما يجب القيام به وما يجب تفاديه. كيف تريدينه أن يعلم أنه من الطبيعي فتح علبة لرؤية ما في داخلها وأنه من الخطأ فتح مُنبّه ليرى من أين تأتي الدقّات؟ إنّ شرحك بلهجة رقيقة يُفهمه ويعلمه ذلك. لكن تفهُّمه الأشياء ضعيف جداً أمام إرادته وفضوله.

إذا أردت ألّا يدخل غرفة ما فاغلقيها بدلاً من أنْ تصرخي بوجهه. يتعلم الطفل بسرعة كيفية احترام عالم البالغين.

وفي اليوم الذي يقوم فيه بهفوة لا تؤنّبيه بشدّة؛ غضبك سيربكه ويخيفه. إن تأنيب ولد بهذا العمر والصراخ بوجهه يجعلانه يشعر بالذنب. ما يسمّيه الأهل هفوات، هو تصرفٌ طبيعيٌ أنتجه تفكير الطفل ويعتبره هذا الأخير اكتشافاً مسلياً.

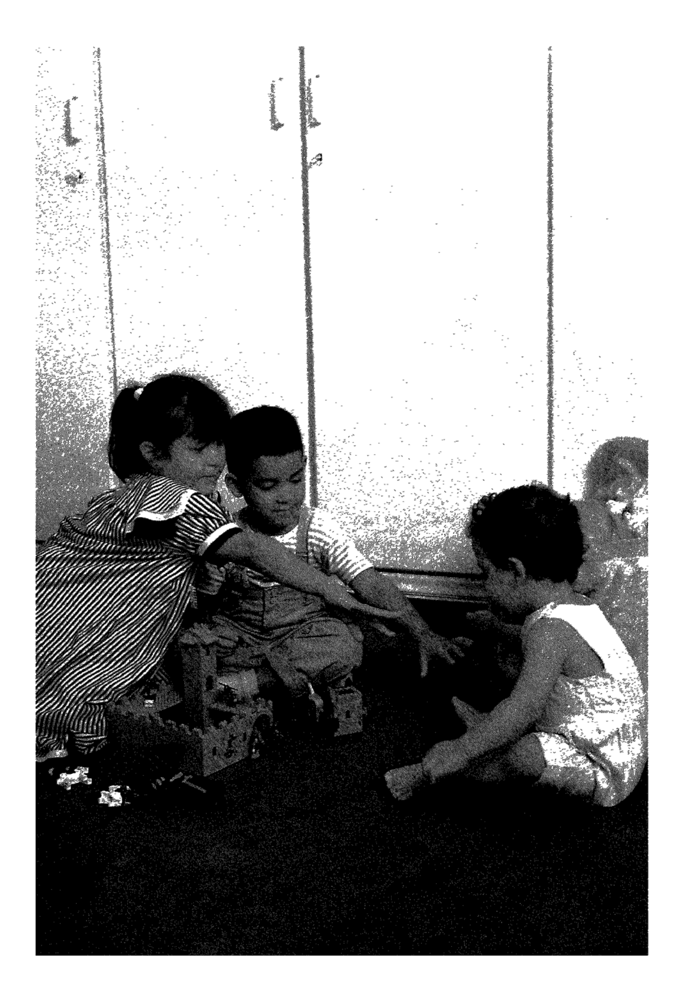
المرحلة الاجتماعية

بعدما لمس الطفل كل شيء واستكشف جميع الأماكن بعدة أشهر، تكون أمه قد تعبت وأمَلَت الحصول على الإستراحة التي ستجدها بالفعل بعد بلوغ طفلها سن السنتين وحتى السنتين والنصف. هذه مرحلة ساكنة نسبياً فيها يجد الطفل توازنه، ويصبح اجتماعياً يتفاهم مع محيطه بسهولة لأنه يعبّر بشكل أفضل. في الواقع ما يهمّه الآن، هو أن يتكلم حتى يتعب، تماماً كما كان لا يملّ من الحركة في السابق. بعدما وضع الأشخاص والأشياء كلًّا في مكانه الخاص، يريد الآن إعطاء كل غرض اسمه ووظيفته الخاصة. لمعرفة أسماء الأغراض يشير باصبعه إلى كل منها متسائلاً وقائلاً «وهذا؟ . . . وهذا؟ . . .» وبعد أن يحصل على الجواب يردّده كالببغاء. ثم يطرح السؤال نفسه على شخص آخر، بلا ملل، ليتأكد من معلوماته وليسمع الكلمة الجديدة مرة أخرى. عملية الترداد هذه هي وسيلته ليتعلم.

كل شيء يفيد لتحسين لغته. يردِّد أسماء الأشخاص المحيطين به، يعدّ ألعابه وألعاب أخوته مشيراً إليها. ويذكر اسم مالك كل من هذه الألعاب. منطق الطفل يجعله يربط كل غرض بمالكه ولا يجب أن تنتقل الأغراض بين أشخاص مختلفين لا يفهم مثلاً كيف أن جدته تنتعل حذاء أمه. يتذكر الطفل ما أكله في الصباح وظهراً وفي المساء وحتى في البارحة إذا سعفته ذاكرته. يريد معرفة مكان وجود أبيه وأخته وصديقه الذي تعوَّد أن يلعب معه. يحاول، من خلال كل ما يقول، أن يوجّه نفسه في هذا العالم، أن يجد مكانه، ويفهم نفسه؛ عندما يكون بمفرده يردِّد الكلمات التي تعلمها ويحلّل كل ما قام به. هذه الحالة هي بداية حديث منفرد يدوم سنوات وحتى عمر الست أو السبع سنوات. هكذا، يمضي ساعات، يتكلم خلالها وحده أو يخاطب لعبته ويحقق تقدُّماً ملموساً في عوالم اللغة. ما يقوله ليس فقط كلمات جديدة تعلمها، بل هو أسلوب جديد للتعبير بسهولة. وشيئاً فشيئاً يبتعد عن لهجة الأطفال.

اللغة هي المجال الذي يظهر الفرق واضحاً بين طفل وآخر. نرى طفلاً يعرف سبعين كلمة في سن السنتين وثلاثمئة كلمة في السنتين والنصف؛ وقد نرى طفلاً آخر لا يعرف سوى خمسين كلمة في عمر السنتين ومائة عند بلوغه السنتين والنصف. في هاتين الحالتين، الأطفال طبيعيون للغاية. أما الفروقات فبإمكانها الاستمرار مدى الحياة: إن أسس اللغة لدى إنسان بالغ عادي تحوي ألف وخمسمئة كلمة؛ لدى البالغ المثقّف ثلاثة آلاف كلمة، ولدى العالِم خمسة آلاف كلمة.

من أين تأتي هذه الاختلافات؟ أولاً من الإمكانات الفردية التي تجعل بعض الأطفال يتكلمون باكراً، تماماً كما يمشي البعض قبل غيرهم. لكن ذلك لا



يفسّر كل شيء لأن دور المحيط الذي يعيش فيه الطفل هو أساسي. ليتكلّم الطفل بشكل طبيعي يجب أن يُحاط بالعاطفة والتفهُّم. يجب أيضاً أن يستمع إلى أشخاص يتكلّمون حوله ويخاطبونه، ومن الضروري أن نردّ على أسئلته وأن نشجّع جهوده بلهجة لطيفة من دون أي تحريف للكلمات.

من الواضح أن الطفل الذي يتلقّى عناية مباشرة من أمه ويشاركها حياتها اليومية، خصوصاً عندما تحادثه، يتطوّر من حيث اللغة بشكل أفضل من طفل آخر في عهدة حاضنة لا يسمع منها سوى بعض العبارات القاسية أو المختصرة من النوع التالي: «إشرب الحساء... إذهب إلى الحمّام... أسرع... ألا تخجل؟ إغسل يديك، بسرعة... لا تتحرّك... لن تحصل على الحلوى لأنك وسّخت ثيابك... وإلخ».

في دور الحضانة حيث لا أحد يكلّم الأطفال نرى هؤلاء لا يحققون أي تقدّم لغوي وينطوون على أنفسهم. ويرى علماء النفس أن هذا التأخر اللغوي الناتج عن إهمال محيطهم إياهم، يؤدي إلى مصاعب تظهر بوضوح عندما يبدأ الطفل بتعلّم القراءة والكتابة.

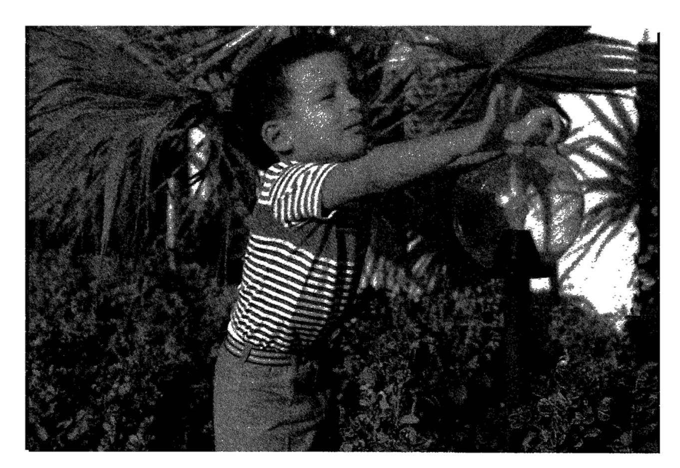
عندما تشعرين بأن طفلك بلغ المرحلة الحسّاسة للغة (أي حين يطرح الكثير من الأسئلة ويُظهر اهتماماً وشغفاً حيال أجوبتك) تكلّمي معه باستمرار وبوضوح؛ أجيبي عن أسئلته بصبر. عندما يتعلّم الكلمات المتداولة: النوم، الماء، الخبز، العطش، إلخ. وسّعي معلوماته اللغوية باستعمالك كلمات جديدة. فهذه الأخيرة تفتّح ذكاءه.

سيأتي وقت يحتاج فيه إلى التفكير في الكلمات كي ينمو، تماماً كما يحتاج الجسم إلى الغذاء كي يتنشط. يطرح الطفل الأسئلة بلا توقّف، وقد رأيتِ أن فضوله لا يسأم. هو متشوّق لمعرفة أسماء الأشياء كما كان متشوّقاً لرؤيتها ومن ثمّ لمسها. هذا الفضول طبيعي ولا يفتقده سوى الطفل المتأخر أو غير المكتفي.

الفضول يدفع الطفل إلى السؤال «ما هذا؟.. وهذا؟..»؛ الفهم يمكّن الطفل من استيعاب الشروحات. الذاكرة تسجّل الكلمات وكل ما يرافقها من ظروف وتصرّفات وصور.

إنّ ممارسة هذا التمرين باستمرار تجعل الطفل ماهراً في تفكيره، وتمكّنه من إيجاد الكلمات والعبارات المناسبة بسرعة أكبر ليستعملها في التعبير عمّا يجول في رأسه. يضيف الطفل، كل يوم، كلمة أو أكثر إلى لغته فيوسّع بذلك نطاق معرفته. هذا المخزون من الكلمات يساعد الطفل على إظهار «ذكائه» فيوجه اهتمامه نحو الأشياء الأكثر تعقيداً ويواجه كل جديد وكل ما هو غريب، يحاول اكتشاف المجهول ويفاضل بين كل ما يرى وبين اختباراته السابقة. ويتمكّن أخيراً من الوصول إلى النتائج.

بصورة عامة يتطوّر ذكاء الطفل بسرعة ويظهر كردة فعل طبيعية. مثلاً عندما كان بعمر السنة إذا رأى الطفل غرضاً على طاولة مرتفعة، لم يكن باستطاعته ابتداع طريقة لتناوله. عند بلوغه السنة والنصف أصبح يجرّ كرسياً ويصعد عليه ويأخذ الغرض؛ أو أنه يستعين بعصا لإسقاطه. إذا مُنع عن لمسه، كان في الماضي يرضخ لأوامر أهله. أمّا بعد بلوغه السنة والنصف فإنه سينتظر حلول الليل أو غياب أهله للتسلّل والحصول على الغرض المرغوب فيه. هذه العملية تُظهر ذكاءه لأنه يجد الحلول بفضل تفكيره. نلفت انتباهكِ هنا إلى بعض الظروف التي يمر بها الطفل: في هذا العمر، يظهر عند الأطفال، حتى الطبيعيين جداً منهم، خوف جديد ورعب في الليل والعتمة والمطر والمحرّكات الكهربائية وبعض الحيوانات وحتى بعض الأشخاص، يقاوم الطفل خوفه وعدم شعوره بالأمان باتّباع عدد من العادات التي تؤمّن له الاستقرار. عند الطعام، سيغضب مثلاً إذا وضعتِ لعبته بعيداً عنه أو إذا أطعمته بصحن جديد. لكنه يبدو أكثر قلقاً خصوصاً في موعد نومه، فيراقب موضع ثيابه على الكرسي وستائر النافذة إذا تحرّكت، والباب إذا كان مفتوحاً أو مغلقاً،



ويريد أخيراً ألّا تكون جميع هذه التفاصيل مختلفة بين يوم وآخر. عندما ينام الطفل وحيداً يشعر بأنه مُهمَل. تستطيعين أن تطمئنيه بسرد أقصوصة وأن تتركي باب غرفته مفتوحاً ليدخل منه ضوء خافت. لكن لا تضعيه في سريرك لأنه يجب أن يتعوّد شيئاً فشيئاً وجوده بمفرده في سريره الخاص. وهذه خطوة أولى ومهمة لبناء شخصيته المتفرّدة.

إكتشاف الذات

سيطرأ حدث مهم بين سن السنتين والنصف والثلاث سنوات، ممّا يسبّب اضطراباً في حياة الطفل وحياتِك أنتِ في الوقت نفسه. أولاً اكتشف وجودكِ أنتِ أمه. ثم تنبّه إلى وجود شخص آخر بقربك يقوم بدور مهم هو الأب. سيكتشف الآن ثالثاً أي هو نفسه. هذا الاكتشاف لا يتمّ في يوم واحد بالطبع. لكن من الواضح أن الطفل في هذه السن يلاحظ ويعي أنه شخص كجميع الأشخاص المحيطين به. نستطيع القول إن الطفل عندما يبلغ الثلاث سنوات يعلم أنه صبي أو بنت، ويميز بين الفتيان والفتيات، كما يعلم أنه طفلكِ وليس طفل الجيران. يتعرّف على نفسه في المرآة ويميّز الألوان. في هذه السن يصبح الطفل واعياً قدراته الجسدية فيقول: «أنا قوي، أنا كبير...»، يعرف اسمه ويردّده، يعلم أنه شخص مختلف عنكِ وعن أبيه. كلمتان تؤكدان ذلك: الـ «أنا» التي يستعملها والـ «لّا» التي يستغلّها.

«أنا» تعني دوره وتدل على الذات: أنا أكلّمك أنتِ، أنا مختلف عنكِ أنتِ التي تسمعينني. يقول الطفل «لا» لمعارضة شخص ما. «أنا» و«لا» هما تجسيد للمكان الذي يشغله طفلكِ في عالم البالغين.

هذه الاكتشافات تشكّل الجزء الأطول والأكثر إثارة في نفسية طفلكِ، وأيضاً الأكثر صعوبة. إذ إن المراحل دقيقة للغاية والتطوّر لا يُلاحظ بسهولة. كذلك الطفل لا يساعدك على تفهّم آرائه لأنه لا يتفوّه بكلمة لكي تكتشفي متى يلاحظ الطفل أنه كائن مستقل عن

الآخرين، أي أن له جسداً. راقبي تصرّفاته أمام المرآة، ويكف يتأمّل يديه وقدميه، لتعرفي كيف ينظر إلى الآخرين ويثبت وجودهم في وعيه ويفرّق بينهم وبينه ذاته.

في عمر الثلاثة أشهر، عندما يوضع الطفل أمام المرآة، ينظر إليها نظرته إلى أي غرض آخر. عند بلوغه الأشهر الستة يرى خيالك في المرآة فيفاجأ كما لو أنه يشكّ بوجود رابط بينك وبين صورتك. إذا تكلّمت تجدين عينيه تتنقلان بين شفتيك وصورتها في المرآة، دون أن يفهم السبب وكأنه يتساءل: كيف يمكن أن يكون وجه أمه هنا وهناك. ذلك من دون أن يشكّ بوجود علاقة بينه وبين صورته في المرآة. في العمر نفسه يمضي الطفل ساعات بمراقبة يديه. يديرهما، يلعب بأصابعه، يضع يداً في الأخرى لكنه لا يفرّق بين يده ويد أمه مثلاً. يأخذ يده ويدها ويضعها كلتيها في فمه ولا فرق. عندما تدعو الأم طفلها باسمه يدير رأسه صوبها، ليس لأنه عرف اسمه بل لأنه يتجه نحو صوت أمه المألوف، والذي يحب سماعه.

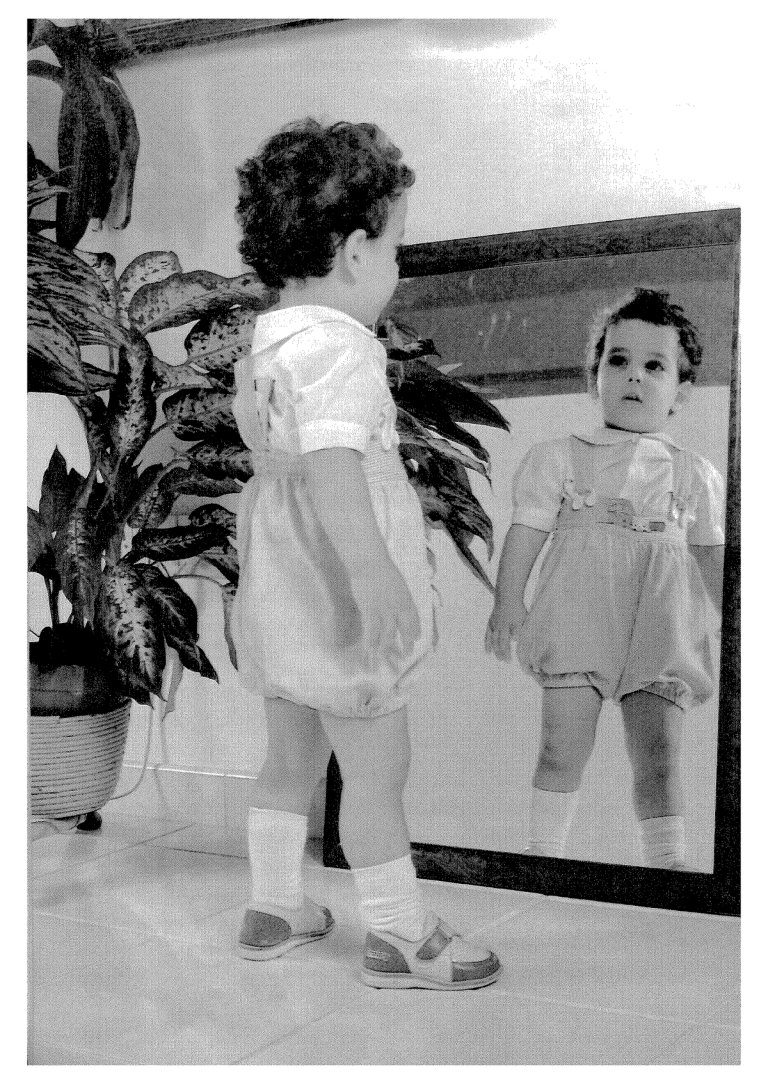
مع الوقت تتطوّر علاقة طفلك بالمرآة. في عمر العشرة أشهر عندما يمدّ الطفل يده نحو المرآة ليلعب مع الطفل الذي يراه أمامه يفاجأ بملامسة الزجاج القاسي. عند بلوغه السنة ينظر إلى صورة والدته في المرآة، يحدّق اليها جيداً ثم ينظر إلى والدته (الحقيقية) ويسميها «ماما». هنا يكون قد خطا خطوة كبيرة إلى الأمام حين اكتشف أن الشخص نفسه يمكن أن يكون أمام المرآة وداخلها في الوقت نفسه. أمّا بالنسبة إليه هو شخصياً فلا يزال الطفل الذي يراه في المرآة غريباً عنه.

عندما يتعلّم الطفل المشي يكتشف أن له جسماً وأن ساقيه وساعديه هي خاصته. وكلما خطا خطوة واحدة تصفّق أمُّه له فيعرف أنه هو المعني بالأمر، فيعاود الكرّة ويسقط ويرتطم رأسه بالأرض. يحسّ أن جزءاً منه يتألم فيلجأ إلى حماية رأسه كلّما سقط. عندما يعضّ يده ويتألّم يعرف أن هذه اليد له ولا يعاود الكرّة. عندما ترتطم قدمه بالكرسي وتؤلمه يعرف على الفور أنه ارتطم بالكرسي أي أنه مختلف عن الكرسي. يستنتج أن الكرسي شرير ولا يعود يلمسه مجدداً. في هذه المرحلة يتعرّف الطفل إلى اسمه ويردّ عندما يناديه أحد. عند بلوغه السنة والنصف يكتشف الطفل فجأة أن هذا الطفل الموجود داخل المرآة هو «هو». . . ، فيشعر بفرح عظيم، ولا يعود يفارق المرآة، ويقوم بحركات هزلية ويراقب نفسه. نلاحظ في هذه المرحلة أنه لا يزال يجد صوره الفوتوغرافية غريبة عنه. ذلك لأن هذه الصور جامدة بينما صورته في المرآة تعكس حركاته. لكنه يتعرّف إلى أهله في الصور. وهذا يؤكد قولنا بأن الطفل يعرف الآخرين قبل أن يتعرّف إلى نفسه.

بعد السنتين يكتشف الطفل أنه يستطيع التأثير على الآخرين بإضحاكهم وإزعاجهم وتسليتهم ورفض طلباتهم.

رغم أنه قد انفصل عن الآخرين، إلّا أنه لا يزال يتكلّم عن نفسه وكأنه غريب، يقول: «بابا يخرج مع الطفل». هو لا يدري ان الممثّل والمتفرج هما الشخص نفسه أي هو نفسه. بعد الثلاث سنوات لا يعود الطفل يهتم بالمرآة وينقل اهتماماته إلى الصور حيث يتعرّف إلى نفسه بسهولة فيشير إلى صورته ويستعمل تعبير «الأنا» باستمرار أما كلمة «نحن» فلا يردّدها الطفل قبل عمر الأربع سنوات. «نحن» هي الدليل على دخوله المجتمع فعندما يقول كلمة «نحن»، يشرك الآخرين معه.

يتأمل في المرآة فيرى طفلاً. يمد يده ليلامس الطفل الذي يراه أمامه فيفاجأ بملامسة الزجاج القاسي. بعد أن يكتشف الطفل أن أمه يمكن أن تكون أمام المرآة وداخلها في الوقت نفسه، يظل يحسّ ان صورته هو في المرآة، تمثل طفلا غريباً عنه.



الخيـــال

كل مرحلة من مراحل العمر تعطي الطفل عنصراً جديداً. بعد الثلاث سنوات يطغى الخيال على العناصر الباقية التي سبق وتعرّف عليها كالضحك والعاطفة والذكاء واللغة.

الخيال هو الذي يفرّق بين الإنسان والحيوان. حتى عمر معيّن يستطيع الحيوان الصغير أن يحلّ المشاكل نفسها التي يحلّها الطفل لكنه يبقى عاجزاً عن التخيُّل.

هذا الخيال مُتطلّب جداً وتكفي القصص لتغذيته. يطلب الطفل الكثير منها. أحياناً يكتفي بما يسمع وأحياناً أخرى يتطلّب تفاصيل معيّنة خصوصاً إذا كان الطفل صاحب ذوق أو ميل محدد.

المساء هو الوقت الأنسب لرواية القصص والتي تبقى الوسيلة المثلى لجعل الطفل ينام بهدوء وبلا مشاكل.

عندما لا يكتفي الطفل بالقصص التي يسمعها: يخترع غيرها. يؤلّف الشخصيات، يُلبسها الثياب، يُطعمها، ويُخبرها قصصاً أو يُعاقبها.

لا يتكلّم الطفل إلاّ مع لعبته. ويتوجّه كذلك إلى الأغراض التي تحيط به. يرتطم بالطاولة فيقول لها: «أيّتها الطاولة الخبيثة. آلَمْتِني كثيراً وسوف أعاقبك». بالنسبة إلى الطفل كل الأشياء حية. الحجارة والأشجار والغيوم إلخ . . . . .

الطفل ممثّل، ونحن ننمي فيه هذه الموهبة عندما نقدّم له مسدساً أو أدوات طبية، فيتحول بسرعة من مقاتل إلى طبيب أو إلى رائد فضاء أو سائق سيارة سباق أو معلمة مدرسة أو راقصة أو بائعة خضار إلخ . . . . وعندما يكون الطفل مع أصدقائه الصغار يوزّع الأدوار: «أنتَ الزعيم وأنا الشرطي، أنا الأم وأنتَ الطفل». في هذا العمر يحاول الطفل دائماً أن يحجز الدور الجيد لنفسه. عندما لا تعود الألعاب ولا القصص كافية لتغذية مخيلة طفلكِ، يخترع رفيقاً يتكلّم معه بكثرة. هذا الرفيق إمّا أن يكون الوجه الشرير للطفل الذي يقوم بكل المعاصي والذي يكسّر أغراض البيت ويعصي الأوامر، أو قد يكون الصديق الوفيّ الذي يشاركه حياته ويخرج معه للنزهة واللعب.

بعض الأهل يعتقد أن وجود هذا الرفيق الوهمي مضرّ بالطفل. ليس هذا الاعتقاد صحيحاً إذا بقي «الرفيق» رفيق اللعب الذي يُسلّي طفلكِ. ونعم هو مضرّ إذا استحوذ على كلّ اهتمامه، وأصبح محور حياته وشغله عن كل ما حوله، وجعله يترك ألعابه المفضلة. لإبعاد الطفل عن هذا الزميل الوهمي لا تهزأي به بل استبدلي به آخر حقيقياً. ذلك لأن الطفل يخترع هذا الصديق الوهمي في عمر الدخول إلى المدرسة وكأنه يعلن عن حاجته إلى أصدقاء.



تكون الحالة سيّئة عندما يحتاج الطفل بقوة إلى الحلم، ولا تعطيه ظروف الحياة ما يحتاجه. عندها يكون الرفيق الخيالي مجرّد تهرّب له. في هذه الحالة يحتاج الطفل إلى صديق حقيقي وإلى عائلة حقيقية أي مُتفهمة.

هل يعتقد الطفل حقيقة بوجود هذا الرفيق الوهمي؟ نعم ولا.

وفي جميع الحالات تبقى صورة هذا الرفيق غير واضحة ومعالمه متغيّرة كثيراً والأدوار التي يأخذها تختلف يوماً عن يوم. مخيّلة الطفل لها حدودها ولا يمكن أن تتغلّب على الواقع الملموس.

علاقة الأهل مع خيال الطفل

أن دور الأم في اطلاق طاقات مخيلة الطفل وانماء هذه المخيلة، هو مُهّم وحساس جداً. لأنه قد يؤثر سلبياً أو ايجابياً على انسياب الطفل مع الأجواء والشخصيات التي يولدُها خياله. عليك سيدتي ان تتفادي السخرية والضحك من خيال طفلك خاصة، عندما يطرح عليك سؤالا، مثل: «أين يقع كوكب معيّن يسكنه البطل سوبرمان؟» من الخطأ إعادة الطفل إلى رشده وواقع الحياة بأن تنفي وجود هذا الكوكب وذاك البطل.

مثل هذا التصرف يجعلك تقطعين انطلاقة طفلك في لحظة واحدة وتهدمين ما بناه خياله في ساعات، وربما أيام. وهذا يذيق الطفل مرارة الخيبة ويخفف من ثقته بنفسه ويدفعه إلى تعطيل خياله.

إذن كيف تتصرفين في مثل هذه الحالة؟

أفضل ما تقومين به هو انتهاز فرصة ذكر الطفل للكواكب فتحدثيه عن حقيقة وجود كواكب كثيرة في الفلك. وإذا كان بلغ سنّا تمكنه من استيعاب بعض الحقائق العلمية فبامكانك أن تشرحي له بعض المعلومات حول دوران الكواكب وسرعة الضوء إلى غير ذلك؟ وإذا كان طفلك يمثل دور طبيب أو شرطي وهو يلعب، فلا تسخري منه، بل اعطيه فكرة عن دور هاتين الشخصيتين، مشاركة اياه في لعبته.

الغيـــرة

بعد عمر الثلاث سنوات يكون الطفل اكتسب الأسس اللازمة كلّها ولا يعود يحتاج الى تطويرها. اكتسب العاطفة والضحك والذكاء والخيال. تدوم عملية التطوير هذه مدة طويلة، قد تمتد إلى ما بعد المراهقة. وشيئاً فشيئاً يصبح الطفل أكبر وأقوى وأذكى وأكثر وعياً. وتتسع رقعة معلوماته.

في المجالات الفكرية والجسدية، يجري التطوُّر بأشكال متفاوتة السرعة، ولكن دائماً الى الأمام. أما في المجالات الأخرى، الاجتماعية والعاطفية، فهناك تفاوت كبير. قد يكون التقدم سريعاً وقد يحصل تقهقر. هناك فترات من الراحة الطويلة وفترات أخرى عصيبة في حياة الطفل. السبب هو كونه يبدأ يتعوَّد مشاركة الآخرين إيَّاه، وانصهاره في المجتمع المحيط به، فلا يعود يعتبر نفسه محور العالم والعائلة.

بين عمر الثلاث والخمس سنوات هناك معبر صعب على الطفل أن يجتازه. تضطرب حياته العاطفية ذات يوم ويصبح حزيناً وعنيفاً. إنه يكتشف، ولأول مرة، طعم الغيرة.

طفلكِ سعيد. أنت تشكلين محور حياته وهو كذلك بالنسبة إليكِ. هذا ما يشعر به. تخصصين وقتكِ لإطعامه وغسله وأخذه إلى نزهة ولا تتركينه أبداً. إنها سعادته القصوى، والتي يكتفي بها.

فجأةً يكتشف الطفل وجود إنسانٍ آخر يحبه ويعجب به هو والده. علاقته به مختلفة عن العلاقة بالأم. هذا شيء طبيعي، الأب يلبّي حاجات الطفل كما تفعل أمه لكنه أيضاً يشكل مصدراً للسعادة بالنسبة للطفل، والذي يكتفي بهذه العاطفة المزدوجة.

بعد فترة يلاحظ الطفل أن أمه تخفّف من إهتمامها به. هو لا يدري أن سبب ذلك كونه تجاوز عمر العناية الخاصة والأطعمة المميزة، وأنه بلغ مستوى إدراك وتفسير ما يراه وما يحيط به. ينتبه إلى أن أمه تعتني بشخص آخر هو «أبوه»، التي اعتبرها تحبه وحده، اكتشف أنها تحبُّ سواه. كأنّنا نسمعه يردِّد الجمل التالية: «إنها تأخذ بيده كما تمسك يدي تخصّص له وقتاً كان بإمكانها أن تقضيه معي، تأخذني إلى الفراش باكراً وتغادرني مسرعة لأنه ينتظرها ليخرجا معاً إلى أمكنة مجهولة...». عندما يكونان معاً يتكلمان ويتصرفان كأنّني غير موجود. إنهما يتجنّبانني. الاكتشاف الكبير هو: «أبي يحب أمي التي تقدم له عاطفتها ويبدو أن هناك رابطاً يربطهما من الصعب إدراك نوعيته وكأنهما يخفيان سرّاً كبيراً».

هذا الاكتشاف يقلب حياة طفلك رأساً على عقب خصوصاً إذا كان عاطفياً جداً وحساساً، وإذا كانت علاقته بوالديه وطيدة جداً.



هذه الأم التي أحبّها كثيراً ليست له وحده. يجب أن يتقاسمها مع غيره. صعوبة جديدة تعترضه لأنه لا يعرف بعد معنى كلمة مشاركة.

في هذه السن نلاحظ أيضاً أن الطفل الذكر ينجذب أكثر نحو أمه بينما الطفلة تنجذب نحو أبيها، مما يعقّد الأمور ويخلط بين الرغبة والغيرة. تتحوّل العلاقة المنفصلة بين الأم وطفلها من جهة والأب والطفل من جهة أخرى، إلى مثلث متناسق الأطراف: الأب، الأم، والطفل.

هذا الاكتشاف كما ذكرنا سابقاً يحوّل طباع الطفل من هادئة إلى عنيفة. ولبعض الوقت سوف يفضل أحد الوالدين على الآخر، وسوف يطلب منه المزيد من العاطفة. في هذه المرحلة من عمره يصاب الطفل بالكوابيس ويطرأ ضعف على قدرته التعبيرية بالكلام أو يبالغ في التدلّل لمجرد لفت الأنظار إليه. بعد مدة قد تقصر أو تطول يستعيد الطفل الروابط الطبيعية مع أهله وتنتهي أزمته كما ابتدأت.

قد تمرّ هذه النوبة ولا تلفت الإنتباه أو قد يمرّ الطفل بمراحل صعبة جداً. في كل حال عقدة أوديب هي عتبة لا بدّ من أن يجتازها الطفل باتجاه إقامة العلاقات االطبيعية مع عائلته ومع زملائه.

يتعلّم الطفل في هذه المرحلة المضطربة أموراً ثلاثة مهمة:

ـ المشاركة التي سوف تقوده من مرحلة الغرور إلى مرحلة العلاقة الطبيعية.
ـ أساس العائلة شخصان متحابان.
ـ وأخيراً إنه لا يستطيع أن يستغني عن أحد والديه. سوف يعمل جاهداً للتشبه بأحدهما وغالباً ما تتشبّه البنت بأمّها والصبي بوالده.

هذا المثال يساعد الطفل على إيجاد هويته وعلى أن ينمو بشكل طبيعي.

التوائم

يتطلب الاعتناء بالتوائم مجهوداً مزدوجاً من قبل الأم. لكن ما إن تمرّ المرحلة الصعبة، أو الأسبوعان الأوّلان وهما المخصصان لتنظيم الأمور اليومية حتى تشعر الأم بسعادة عارمة. «سعادتان في الوقت نفسه. وعائلة كبيرة مرة واحدة. وهذا يعادل التعب والجهد المبذول بل يتخطاه». هذا القول لأم أنجبت توأمين.

يحتاج التوأمان إلى عناية خاصة ولا يمكنك سيدتي أن تعامليهما كما تعاملين الولد الوحيد. ستعرفين السبب عندما ندخل وإيّاكِ عالمهما الخاص بهما وهذا ما سوف نقوم به فيما يلي:

الولدان التوأمان لا يشعر الواحد منهما بالعزلة أبداً. إنهما إثنان إلى مائدة الطعام وخلال النزهة. عندما يلفظ أحدهما أولى كلماته وعند اكتشافه الألعاب وخلال كل أعماله واكتشافاته هناك من يراقب ويشارك. وهذا ما سوف يؤثّر كثيراً على تصرفات التوأمين وتطور نموّهما. لكي تدركي معنى هذا تصوّري أن هناك من يراقبك ويشاركك في كل ما تفعلينه طوال النهار ويفكر مثلك.

هذا عالم الإثنين، يكتشفانه ويبنيانه طوال سنوات عمرهما الأولى يشعران بأنهما قويان معاً. عندما تنادين أحدهما يردّان معاً وعندما يريد أحدهما التكلم عن نفسه يقول: «نحن».

الأنا يقولها الطفل المنفرد عند بلوغه الثلاث سنوات. أمّا التوائم فلا يتعلمونها قبل بلوغهم الخمس سنوات. ويخلطون بين الأنا والأنت.

هذه الصعوبة في التفرقة بين الأخوين التوأمين موجودة في ظروف كثيرة. عندما يقف أحد التوائم أمام المرآة لا يعرف أنه هو، لأنه تعوَّد أن يرى صورة شبيهة معه دائماً. وحتى بلوغه سن الخامسة يظنّ أنه يرى أخاه في المرآة أو في الصور.

في رأي علماء النفس، هذه الأفعال مهمة جداً بالنسبة إلى مستقبل التوائم. هم منغلقون على عالمهم الخاص. اعتادوا التخاطب بلغة خاصة لا يفهمها المحيطون بهم ويحتفظون ببعض هذه الكلمات ويستعملونها حتى بعد بلوغهم.

الأخوان التوأمان متفاهمان، متكاملان، مكتفيان ولا يقومان بمجهود يماثل الذي يقوم به الأطفال الآخرون في محاولتهم تفهم محيطهم والتعبير عما في نفوسهم. هذا المجهود يترجم عادةً بالرغبة في الحديث، أمّا التوائم فقد لوحظ أنهم يتكلمون في سن متأخرة وإذا لم يتنبَّه الأهل ويعالجون الأمر، يتفاقم التأخير.

حتى داخل مجتمعهم الصغير الذي يؤلفونه، ينظم التوائم حياتهم ويوزعون الأدوار مستعملين



مزاياهم الخاصة. قد يكون الواحد منهما أقوى بينما الآخر أذكى، الأول ينسّق الإتصالات مع الخارج والثاني ينظم الداخل ويوزع الأدوار في الألعاب أو يستلم النقود ويخطط لإنفاقها. وغالباً ما يتبادلان الأدوار فينفذ أحدُهم القصاص بدلاً من أخيه.

لا يحتاج الولد التوأم إلى الإرتباط بالمجتمع الخارجي كما يحتاج الولد العادي. ذلك لأنه حاصل سلفاً على رفيق يلعب معه ويتحدث إليه. لذلك نجده متحفظاً حتى مع أفراد عائلته، خجولاً ومتعلّقاً أكثر فأكثر بأخيه.

لا يشكو الأخوان التوأمان أبداً من هذه العلاقة الوثيقة التي تربطهما قبل بلوغ سن المراهقة. أمّا بعد بلوغ هذا السن فيثوران ويحاولان التحرّر من هذه القيود. يرفضان إرتداء الملابس نفسها وينزعجان عندما يخلط أحدٌ بينهما.

على الأهل التحضير لهذا الإنفصال وعدم مقاومته وإلّا أصبح صعباً وربّما مستحيلاً، وعائقاً في سبيل تكوُّن شخصية مستقلّة لكل منهما.

على الأهل أن يختاروا للتوأمين اسمين غير متشابهين وليس كما درجت العادة (رامي وسامي مثلاً) عليهم أن يتفادوا إلباسهما ثياباً مماثلة، وتسريح شعرهما بالطريقة ذاتها، ولا يجبروهما على النوم في سرير واحد ولا يقدموا اليهما الهدايا نفسها. هذه التصرفات من قبل الأهل تؤدي إلى دفع التوأمين نحو مزيد من العزلة بدلاً من مساعدتهما على تكوين شخصيتين منفصلتين. دلّت التجربة بوضوح على أن التوأمين إذا عاشا منفصلين منذ ولادتهما نظراً لظروف قاهرة وعادا فالتقيا بعد مدّة طويلة نجدهما مختلفين تماماً من ناحية الشخصية والطباع. بينما إذا أجبرنا طفلين في العمر نفسه على العيش المشترك كالتوأمين نجدهما بعد مدّة يتصرفان وكأنهما فعلاً توأمين. هذا يثبت أن العشرة والعادة لهما التأثير الأهم وتأتي عملية الوراثة بالدرجة الثانية.

نصـــائح تربويـّـة

سيدتي أنتِ الأقرب إلى ابنكِ وأنتِ الوحيدة التي تعرفينه جيداً فلا تأخذي بالآراء التي تدعوك إلى استشارة عالم أو طبيب نفسي أو حتى باحث إجتماعي، كلما شككت بأن هناك إشكالاً يعترض حياة طفلك. مسؤوليتك هي إزالة الغموض والسعي نحو حلّ كل مشاكله. لا تدعي أحداً يحلّ مكانك في هذه المسؤولية. أنت قادرة على ذلك إذا واجهت الأمور بواقعية ولم تَدَعي العاطفة تتدخل. أنظري في الأمر نظرة المشاهد الغريب وليس نظرة أم واعترفي على الأقل بينك وبين نفسك بأن طفلك إنسان عادي بعيد عن الكمال ويمرّ بمشاكل أنتِ قادرة على حلّها إذا لم تتجاهليها.

التسرُّع

أنتِ مستعجلة تريدين أن يتطوّر طفلك بسرعة هائلة في كل الميادين تقارنينه دائماً بابن الجيران. تريدين أن يمشي إبنك قبله. أن يتكلم في عمر أصغر، أن يكبر قبله وأن يكون عاقلاً في عمر اللهو. لِمَ هذا السباق مع الوقت؟ كل طفل له إيقاعه الخاص. منهم من تَبْرز أسنانه عند بلوغه الأشهر الستة ومنهم من لا تبرز قبل التسعة أشهر. هناك من يمشي لدى بلوغه التسعة أشهر وآخر لا يترك يد أُمّه قبل بلوغه الأربعة عشر شهراً. المراهقة تبدأ عند البعض في عمر التسع سنوات وعند آخرين لا تبدأ قبل الخامسة عشرة.

يجب مراعاة إيقاع كل طفل وإلّا واجهتِ مشاكل تربوية مستعصية. وفي كل الأحوال ما أهمية أن يسير طفلك سابقاً سواه بثلاثة أشهر، أو أن يتعلم القراءة قبل سنة من العمر المحدّد؟ ما تأثير ذلك كله على مستقبله؟ لا شيء. هل تدركين معنى مسؤوليتك عن سرقة الطفولة من عمر طفلك وإخراجه من عالمه الصغير قبل أوانه؟. وكل هذا فقط لأنك تودّين الإستعجال؟ دعي طفلك يتابع إيقاع حياته الطبيعي، دعيه يكون طفلاً ولا تستعجلي تطوُّره.

عندما تطلبين من الطفل النجاح المبكّر تدفعينه بيديك نحو الفشل وتجعلينه عصبيًّا طوال حياته. مجتمعنا المعاصر يحتاج إلى كل هؤلاء الأطباء النفسيين لسبب واضح: ليعالجوا متوتري الأعصاب الذين يفرزهم المجتمع باتباعه مثل هذه الأساليب التربوية التي تُعظِّم روح المنافسة.

عدم التفهّم

إذا انتبهتِ جيداً تتذكرين أنك لا تتكلمين كثيراً مع طفلكِ بل تتحدثين أمامه أو بحضوره وتبرّرين ذلك بأنه لا يزال صغيراً لا يفهم. طفلكِ يفهم كل كلمة تتفوّهين بها وفي مرحلة مبكرة أكثر بكثير ممّا تتصوّرين. الاستيعاب غير مرتبط بالقدرة على التعبير والتوضيح بل يسبقها بكثير. كما في حالة تعلّمنا اللغات الأجنبية،



ستطيع فهم لغة أجنبية قبل أن نتقن التحدّث بهذه اللغة.

العنف

في بعض مراحل تطوّره يصبح طفلكِ عنيفاً. في عمر السنتين كلمة «لا» تغريه ويستعملها باستمرار. عند بلوغه الثلاث سنوات يضرب الأرض بقدمه ليعلن العصيان. ردة الفعل هذه لا تدلّ على طباع شريرة بقدر ما هي إشارة إلى أن الطفل يجتاز مرحلة جديدة مهمة من تطوّره، هي دليل على شخصية جديدة تبصر النور وتحاول أن تفرض وجودها على الأهل.

يظهر العنف عادة بشكل نوبات تدلّ على صعوبة التأقلم مع أجواء جديدة أو ترك عادات قديمة متأصلة.

عندما تنتهي النوبة ويعبر الطفل العتبة الصعبة يعود كل شيء إلى طبيعته ويعود الطفل إلى توازنه. العنف في هذه الحالة دليل على صحة جيدة.

أمّا إذا أصبح العنف عادة ولم يحاول الطفل التخلّص منه، بل تمسّك به، فهو دليل على اضطرابات عاطفية. في هذه الحالة يكون العنف بمثابة جرس الإنذار الذي ينبّه الأهل وعليهم أن يتفهموا الوضع ويبادروا إلى معالجته بدلاً من أن يؤكدوا أن طفلهم أصبح مزعجاً. عليهم أن يعلموا أنه تعيس وبحاجة الى الاهتمام. وعليكِ أنت سيّدتي أن تفتّشي عن سبب تعاسته. هل يعاني من قسوة المكلفين برعايته؟ هل يريد أن يلفت انتباه أمٍ كثيرة الشرود أو أبٍ كثير الانشغال؟ هل يزعجه شجارٌ مع رفاقه؟ أو هل يشعر بالغيرة؟

لا بدّ لك من معرفة السبب قبل أن يصبح العنف طبعاً عند طفلكِ يخرّب علاقته بمحيطه.

الألعاب

في الأعياد والمناسبات يأخذ الأهل أولادهم إلى مخازن الألعاب ويتركونهم يختارون ما تشتهيه نفوسهم.

هذه الكمية الهائلة من الألعاب التي تُعرض على طفلك تذهله ويصعب عليه الاختيار من بينها. الأفضل أن تدعيه يمرّ أمام الواجهات للتفرّج وأن تدوّني ملاحظاته في رأسك وتستعيني بها لتختارين ما يعجبه ويناسبه.

إعلمي أن اللعبة التي قدّمتها الى طفلكِ هي له مهما كان ثمنها غالياً. وإذا كنتِ لا تتحملين منظرها وهي مُحطّمة فقدّمي اليه لعبة رخيصة الثمن منذ البداية. الفرح الذي تولّده اللعبة في نفس طفلكِ لا علاقة له بتاتاً بثمنها. إذا كان الطفل يحاول تركيب قطع بعضها داخل البعض الآخر، وكان لا يتّبع الطريقة الصحيحة أو يتكلّم وحده أو مع اللعبة فراقبيه عن بعد ولا تتدخلي لتصحيح مجرى الأمور أو للمشاركة في الحديث فهو يرغب في أن يكتشف الأمور بنفسه وبلا مساعدة أحد.

المحادثة

معظم المراهقين يتحسّرون لعدم قدرتهم على التحدّث بصراحة ووضوح مع أهلهم. يتوقون إلى هذا النوع من الحديث الصريح أكثر من توقهم إلى الحرية.

الحاجة إلى المحادثة والاتّصال ضرورة حيوية وجدت مع الطفل منذ الولادة. الطفل يحتاج الى أن تتكلّمي معه منذ الساعات الأولى لحياته. وتستمر هذه الحاجة في عمر السنتين، والعشر سنوات والخمس عشرة سنة... ودائماً. لكل مرحلة أحاديث مختلفة تناسبها، لكن الحديث الدائم حيوي.

الاتّصال لا يقتصر فقط على الحديث بل يشمل الحركة والنظرة والابتسامة وقصة تُقرأ أو تُروى والنزهة وإلخ...

الحرية

في عمر السنة يخرج الطفل من سريره ذي القضبان العالية ليكتشف المنزل. بعد أربعة أشهر من ذلك التاريخ يرغب في أن يترك يدك ليركض وحيداً على قدميه. عند بلوغه عمر السنتين ونصف يتناول السكين وحده رغبة منه بقطع التفاحة. عند بلوغه الرابعة يرغب في الخروج إلى الشارع وحده. في السادسة يرغب بالذهاب وحيداً إلى المدرسة، وفي الثامنة يذهب لشراء حاجات أمه وحيداً أيضاً. في الثانية عشرة يخرج مع أصدقائه لحضور أفلام السينما أو للتنزه، وفي الرابعة عشرة يود قضاء عطل طويلة بعيداً عن أهله. وفي كل مرة تتساءلين عمّا يجب فعله: هل تتركينه يحقق رغباته أم تطلبين إليه تأجيلها قليلاً؟

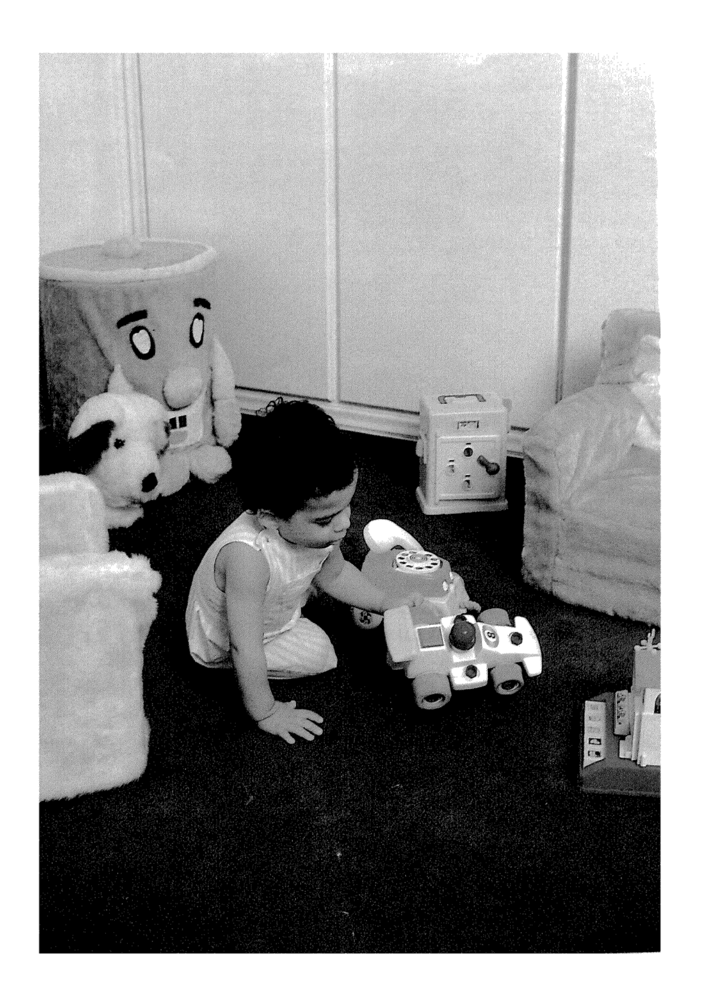
نصيحة الخبراء هي وجوب تشجيع الطفل على أخذ المبادرات والتعوّد على نمط الحياة كلّما رغب في ذلك، وبلا تدخّل من قبلك. لكن دورك يبقى دائماً دور المراقب وهو الدور الأهم. راقبي تحرّكاته من بعيد وحاولي ألّا تدعيه يلاحظ ذلك ولا تتدخّلي إلّا في الحالات القصوى عندما تشعرين أن هناك خطراً ما يتهدّده.

الولد الوحيد

الولد الوحيد ليس محظوظاً. إنه البكر وفيه كل سيئات الولد البكر، ولا يخضع للضغوطات التي يفرضها عليه وجود أخٍ أو أختٍ له، والتي تساعد على تنفيس كبريائه وتكوين صداقاته وعلاقاته الاجتماعية.

أن يكون له أخوة وأخوات يعني أن يعيش في عالم الطفولة. أمّا إذا كان وحيداً بين أهله ولو كانوا لا يزالون في عمر الشباب فيعني العيش في عالم الكبار وتحمُّل المسؤوليات بصورة مبكرة والعيش في جو أقل فرحاً وسعادة. يبحث الولد الوحيد عن أهله ليلعبوا معه وبما أنهم مشغولون معظم الأوقات، فسوف يجد نفسه وحيداً في غرفته ويكتشف الوحدة باكراً. وهذه تجربة صعبة.

عندما تقدمين لطفلك لعبة، اعتبري انها صارت ملكاً له يتصرّف بها كما يشاء. قد يخطر للطفل ان يفكك لعبة ليرضي فضوله او ليتنفس عن موجة عنف تولّدت في نفسه، عليك أن تقابلي تصرفه هذا بالتسامح والصبر، حتى ولو كان ثمن اللعبة التي كسرها باهظاً جداً.



سياسة الابتزاز

«أنا حزينة لأنك ولد مشاكس». «تريدني أن أصاب بمرض». «إذا عذّبتني مرة ثانية، لن أُحبّك أبداً». «إذا أكلت طعامك كله أشتري لك لعبة».

ينجرف الأهل بهذه الوسيلة ويستسهلون «الابتزاز»، دون أن يفكروا بأنهم يزرعون هذه العادة في نفوس أطفالهم. فإمَّا أن يصدّق الطفل ما يقولونه ـ وما أصعب أن يشعر الطفل بفقدان حب أهله له ـ أو لا يصدّق ويفقد ثقته بكلامهم وهذا صعب أيضاً.

السلبية

«لا تلمس، لا تفعل هذا، لا تركض. . .» إلخ. . .

كثيرون من الأهل يعتمدون على سياسة التربية السلبية لاعتقادهم أن الطفل يرغب دائماً في ما يحرّمه الأهل. ويعمد الأهل إلى فرض إرادتهم عليه ليصححوا مساره. لكن في المدرسة يعلّمه الأستاذ أن (١+١) تساوي ٢، ولا يقول له إن (١+١) لا تساوي ثلاثة. لماذا نتبع السياسة السلبية في المنزل إذاً؟

السُلطة

هل السلطة ضرورية بالنسبة إلى الأطفال؟ يحتاج الطفل الى أن يكون منقاداً ويُرشد إلى الطريق الصحيح. يحتاجِ إلى أهل يدلونه على ما يجب أن يفعله وما يجب أن يتجنبه.

ما هي السلطة؟ السلطة هي معرفة ما هو جيد لمصلحة الطفل جسديًّا ومعنويًّا، والحسم، وفرض الإرادة والحزم وعدم الرضوخ للتوسُّل.

حزم الأهل يطمئن الطفل ويريحه، هذه السلطة لا يقبل بها وحسب بل هو يبحث عنها إذا لم تكن موجودة، وهي ضرورية لتوازنه النفسي.

الأمان

الأمان هو أهم احتياجات الطفل. الأمان هو أن تعطيه المأكل والمشرب وتقيه أذى البرد والمرض. هذا الأمان المادي ضروري لكنه ليس كل شيء، فالطفل يحتاج أيضاً إلى الشعور بالأمان النفسي. أنظري إلى الطفل الرضيع الذي يقفز إلى حضن أمه بطريقة لا شعورية عندما يسمع صوتاً قوياً، أو ذاك الذي يلتصق بأمه ويشدّ على يدها عندما يلمح ثوب الطبيب الأبيض. إنّه بحاجة إلى وجود الأم ليتشجّع على مواجهة كل جديد. هذا هو الأمان بالنسبة إلى الطفل.

الولد البكر

نلاحظ أن الأولاد الأبكار يتشابهون. إنهم جديون، ، مثاليون، قلقون دائماً، يشكّكون بكل شيء. من أسباب ذلك أن الولد البكر لا يتربّى مثل أخوته الأصغر منه. مع الأول نلجأ إلى كافة التجارب التربوية وننفّذ كل النصائح التي سمعناها وقرأناها بحرفيّتها. نخاف على الولد الأول، نخاف أن يبرد، أن يسقط، نلفّه ونحميه جيداً. في الوقت نفسه نجد أنفسنا متحمسين لرؤيته يكبر بسرعة. ما ان يدخل صف الحضانة حتى نبدأ نفكّر بتخصّصه الجامعي. بهذا الاستعجال ومعاملتنا له كأنه أكبر سناً، نسرق منه مرحلة الطفولة. وتأمّلي موقفه عندما يصله نبأ، قرب ولادة أخ له، أو أخت، سوف تقاسمه محبتك ورعايتك. وما إن يطل الولد الثاني حتى يصبح البكر، الولد الأكبر، الذي يتحمل مسؤولية أخوته وربما أهله. هكذا بسرعة وبسبب المسؤوليات الملقاة على عاتقه ولو بالكلام، يصبح جدياً وهو لا يزال طفلاً.

أن تلقّني ابنك البكر مبادئ راقية هو واجبك كمربيّة، لكن حاولي أن تزوّديه بها مرفقة بكل ما لديك من حنان ومحبة.



التربية الصامتة

من أصعب الأمور وأدقّها الحديث عن وسائل التربية وإعطاء النصائح حول هذا الموضوع. ذلك لأنه واسع جداً ومتنوّع بتنوّع طباع الأطفال. ورغم ذلك نودّ أن نجازف بنصيحة أخيرة:

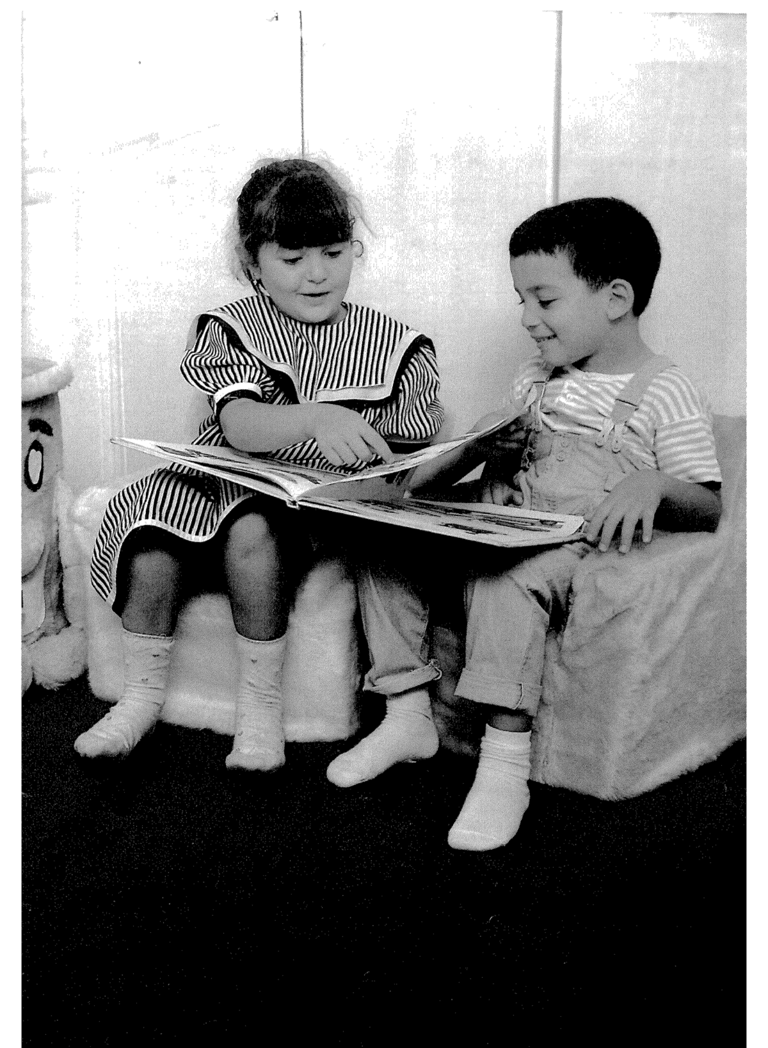
لا تردّدي «قل مرحباً، اضبط أعصابك، انتبه لنظافة ثيابك، كن عاقلاً إلخ . . . .» لأنك بذلك لن تحصلي على لحظة الراحة التي تنشدين وطفلك سوف يبقى في حالة قلق دائمة. بكل بساطة استمعي إليه واستفيدي من وجوده معك وغداً يذهب إلى المدرسة وتشعرين أن منزلك بات فارغاً وسوف تندمين على اللحظات التي مرّت.

حتى لو حاولت أن تكوني أُمّاً مثالية فسوف ترتكبين أخطاءً كثيرة. هذا الأمر غير مهمّ طالما أنك تؤمّنين لطفلك احتياجاته الأساسية: العاطفة والثقة.

لا تتأثري كثيراً بنوعية كلامك معه. الكلام لا يؤثّر فيه بقدر ما تؤثّر تصرّفاتك في حضوره. إهتمامكِ، ذوقكِ، الإطار الذي تعيشين ضمنه وتحيطين به طفلك، ورعايتكِ له. . . تلك هي البذور التي تنزرع في نفسه.

بكل بساطة تصرّفي أمام الطفل كما تريدينه أن يفعل، وهكذا توصلين إليه ما تريدينه من مبادىء ومفاهيم. أمّا إذا كانت أفعالكِ متناقضة مع أقوالكِ فهو سيتمثّل بالأفعال وحدها. والتربية الجيدة والفعّالة هي التربية الصامتة.

أخيراً سيدتي ثقي بأنك المرجع الأول والأخير في تقرير الوسائل التربوية المناسبة لطباع طفلك ومزاجه. وأفضل وسيلة تتعرّفين من خلالها على ما يجب فعله في لحظة معينة، هو احساسك بالمسؤولية وحدسك ومحبتك الهائلة لهذا الطفل، وباختصار ما اتفق على تسميته بعد أجيال من الاختبارات الحياتية «بغريزة الأمومة.»



أسرار الطفولة

من الرحم إلى النور

يعيش الطفل داخل الرحم مثل ملّاح كوني. يسبح في جو تنعدم فيه الجاذبية، ويتمتع بدفء مستقرّ بعيداً عن الضجيج والأضواء. ثم يجد نفسه مُجبراً على شقّ طريقه عبر ممر عظميّ ضيّق، يقوده إلى نور العالم الخارجي. يُضطر لأن يتنفس ويصرخ من الألم، ثم ينام مرهقاً محاولاً استعادة قواه بعد ما بذله من جهود مُضنية في محاولاته الانتقال من ظلمة الرحم إلى وهج النور. وعندما يستيقظ بين ذراعيك ستغمرك سعادة لا توصف!

مرحلة الاكتشافات

منطلقات اكتشاف الطفل للعالم المحيط به، ثلاثة. يبدأ يكتشف بعينيه ثم بيديه، وأخيراً بقدميه. . أما لغة الطفل الوحيدة في الأشهر الثلاثة الأول من عمره فانها البكاء.

نمو الذكاء

في الشهر الأول من حياته لا يميز الطفل سوى الأشياء المتحركة بقربه. بين الاربعة والثمانية أشهر يستطيع امساك الأشياء. عندما يبلغ الثمانية أشهر يبدأ يتعرّف إلى طبيعة الأشياء بحواسه: عينه ترى اللون، ويده تتعرّف على الشكل والحجم، وفمه يُعرِّف على المذاق. وفي عمر السنتين يكتشف «الأنا».

المرحلة الإجتماعية

أساس هذه المرحلة ووسيلتها الوحيدة اللغة. اللغة هي الإتصال مع الآخرين والتعبير عن الذات. عندما تحادث الام طفلها يتطور بسرعة في مجال تعلّم الكلمات واستعمالها بالشكل الصحيح. يحصل تطوُّر مهمّ في حياة الطفل بين عمر السنتين والنصف والثلاث سنوات. أولاً يكتشف وجودك بصفتك امه. ثم يتنبّه إلى وجود شخص آخر بقربك هو الأب. وفي هذه السن يتعرّف الطفل إلى نفسه في المرآة ويصير واعياً قدراته الجسدية فيقول مثلاً «أنا قوي، وأنا كبير. . .» وهنا يدخل الخيال عنصراً بالغ الأهمية ليُكمِّل وسائل اتصال الطفل بالمجتمع الكبير وتفاعله مع أحداثه وعناصره.

نصائح تربوية

لا شك في كون كل ام تريد الأفضل لطفلها وتبذل ما تستطيعه من جهود وتضحيات لترعاه وتربّيه بحيث ينمو محققاً آمالها. لكن الإرادة الطيبة لا تكفي وحدها في المجال التربوي ولا بد من أن ترفق بالمعلومات العلمية الحديثة. قد تخطىء الأم من دون أن تقصد أو تدري فتستعجل مثلاً تطوّر ونمو طفلها وتقارنه مع أبناء الجيران، وتدفعه في مباراة من نوع وجوب أن يمشي قبل أترابه ويسبقهم في النطق وفي ظهور أسنانه والخ . . . هذا الموقف خاطىء سيدتي، لأنه لا يفيد طفلك بل وقد يعوق نموه الطبيعي.

دليلك سيدتي

سلسلة ثقافية تهدف إلى إغناء مكتبة المرأة العربية بمجموعة من الكتب في مجالات رعاية الطفل وصحة المرأة والتدبير المنزلي فن الطبخ العربي والعالمي الفنون النسوية والديكور

صدر من هذه السلسلة

الكتب

مقبلات من المشرق العربي • الطبق الزيتي • مهرجان العجة • ألوان من الأرز • الكبة بأنواعها • أطباق الفرن الشهية • الدجاج الشهي • الحساء اللذيذ • المعجنات الايطالية • المعجنات المحشوة • السمك • السلطات • صحة المرأة • الحمل • الولادة (الجزء الأول) • الولادة (الجزء الثاني) • الرضيع • البراعم (الطفل من ٨ شهور إلى ٣ سنوات) • الطفولة (الطفل من صفر إلى ثلاث سنوات) • جمال الشعر واليدين والقدمين • أناقة المرأة • مكملات المرأة • العناية بالجسم • تنسيق الزهور • الاسعافات الأولية • مبادىء الحياكة • الديكور المنزلي • الحلول العملية للمشاكل المنزلية • الامراض النسائية • الوحام • صحة الطفل • أسرار الطفولة • الخضار المطبوخة.

المجلدات

المجلد ١ الحساء • المعجنات الايطالية • المعجنات المحشوة • العجة • المقبلات

المجلد ٢ الأرز • أطباق الفرن • الطبق الزيتي • الكبة • الـ

المجلد ٣ صحة المرأة • الحمل • الولادة (الجزء الأول) • الولادة (الجزء الثاني

المجلد ٤ جمال الوجه • جمال الشعر • العناية بالجسم • أناقة المرأة • مكـ

وكتب أخرى تشمل كافة فنون الطبخ العربي والعالمي وكافة المجالات التي تهم المر